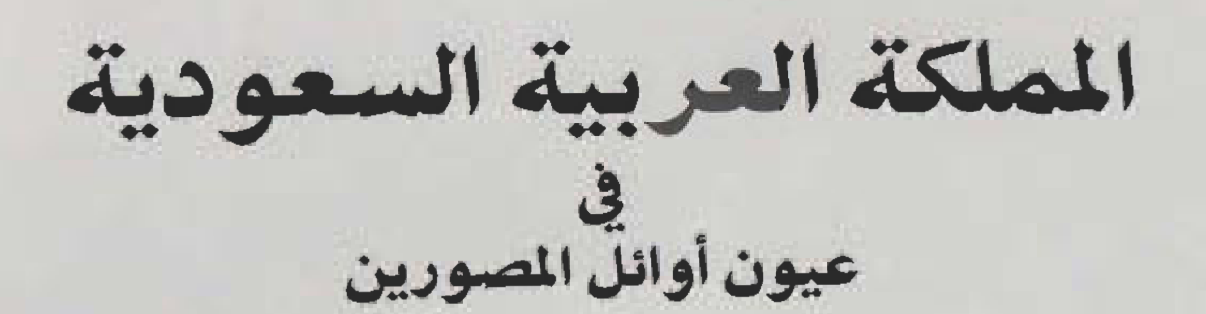


# المملكة العربية السعودية
## في
## عيون أوائل المصورين




وليام فيسي

وجيليان غرانت



الهيئة العليا
لتطوير مدينة الرياض

# المملكة العربية السعودية
# في
# عيون أوائل المصورين



سوق الخميس، الهفوف، الأحساء
(كوكس ١٣٢٣/١٩٠٥م)



الهيئة العليا
لتطوير مدينة الرياض



# المملكة العربية السعودية
# في
# عيون أوائل المصورين

تأليف

**وليـام فيـسـي**

**وجيليان غرانت**



الطبعة الثانية ١٤١٧/ ١٩٩٦م



الصورة السابقة: مخيم لقبيلة الرولة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م)
هذه الصورة: قلعة الشيخ علي وجامعه في مروة، جبل فيفا، أحد الجبال العالية في تهامة عسير (فيلبي ١٣٥٥/ ١٩٣٦م)
الصورة التالية: منظر عام للمدينة المنورة عام ١٣٢٥/ ١٩٠٧م (ميرزا وأولاده)




المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين
تأليف وليام فيسي وجيليان غرانت
الناشر: التراث
ص.ب.(٦٨٢٠٠٣) الرياض ١١٥٢٧، المملكة العربية السعودية
تحرير: لزلي ماكلوكلين
د. زاهر عثمان
مراجعة: د. زاهر عثمان
د. فهد السماري
المدير الفني: جون فيتزموريس



بيانات تصنيف المكتبة البريطانية
هناك مصنف لهذا الكتاب في المكتبة البريطانية
آي إس بي إن ٩-٤١٠٩-٤٠٠٠٩١
تصنيف مكتبة الملك فهد الوطنية
مؤسسة التراث، ١٤١٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
فيسي، وليام
المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين/ وليام فيسي، جيليان غرانت؛ ترجمة زاهر بن عبد الرحمن عثمان، لزلي ماكلوكلين ... الرياض.
١٢٨ ص ؛٢٢ × ٢٨,٥ سم
ردمك: ٠-٧٢٥-٣١-٩٩٦٠
١ - السعودية - مدن وقرى ٢ - السعودية - جغرافيا ٣ - السعودية - وصف ورحلات
أ - غرانت، جيليان (م. مشارك) ب - عثمان، زاهر بن عبد الرحمن (مترجم) جـ - ماكلوكلين، لزلي (مترجم) د - العنوان
ديوي ٩١٥,٣١ ١٧/٢٠٢٧
رقم الإيداع: ١٧/٢٠٢٧
ردمك: ٠-٧٢٥-٣١-٩٩٦٠
الصف: كومبيوتايب، لندن
فرز الألوان والطباعة والتجليد: المطبعة الشرقية، دبي.

# المحتـــويات



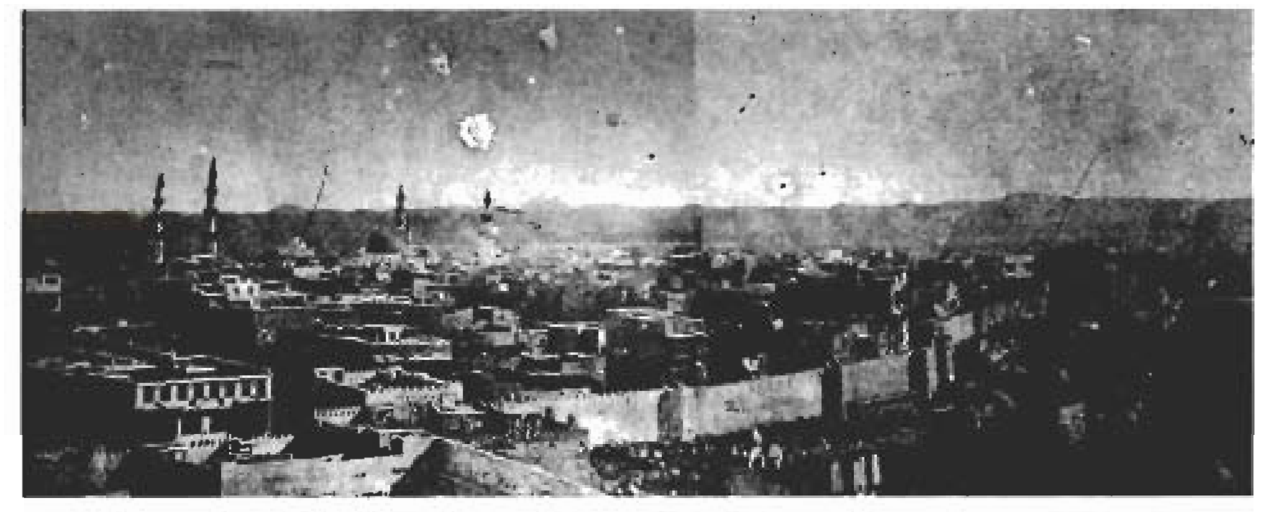
## الفصل الأول

# التصوير الفوتوغرافي والمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها (١٢٧٧-١٣٧٣، ١٨٦١-١٩٥٣م)

وليام فيسي

المملكة العربية السعودية دولة يافعة، أسَّسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، عبر سلسلة من الحملات والمجاهدات بين عامي ١٣١٩ و١٣٤٩ (١٩٠٢ و ١٩٣٠م)، وقد تزامن الإعلان الرسمي عن إنشاء المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١ ( ١٩٣٢م) مع اكتشافات النفط التي تمت في الخمسينيات من القرن الماضي، ولم يبدأ إنتاج النفط على نطاق تجاري موسع ساهم في تحويل المملكة العربية السعودية إلى إحدى أغنى دول العالم ووضع خطاها على دروب التطور والنمو إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعند وفاة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله عام ١٣٧٣ ( ١٩٥٣ م) كانت المملكة قد قطعت أشواطا متسارعة الخطى نحوالتطور الحديث.

يبدوأن أول صورة فوتوغرافية للمملكة العربية السعودية جرى التقاطها قبل مائة عام تقريباً من وفاة الملك عبدالعزيز، وذلك في عام ١٢٧٧ (١٨٦١م)، عندما نزل العقيد المصري محمد صادق إلى بر ميناء الوجه الواقع على البحر الأحمر في الساحل الشمالي للحجاز، وكان ذلك الضابط يحمل جهازاً مهما هوآلة تصوير فوتوغرافي التقط بها فيها يعتقد أولى الصور الفوتوغرافية للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وقد عاد العقيد محمد صادق عام ١٢٩٨ (١٨٨٠م) فصور المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وفي تلك الفترة كان هنالك مصورون مسلمون في الحجاز، وعلى وجه الخصوص كان هناك مصور عسكري تركي، ولكن لا يُعلم شيء عن أعمالهم حتى الآن.



**المدينة المنورة كما صورها العقيد محمد صادق في عام ١٢٧٧ (١٨٦١م)، ويعتقد أن هذه أقدم صورة معروفة جرى التقاطها في المملكة العربية السعودية.**

أتى العقيد محمد صادق بآلة التصوير بعد حوالي عشرين عاماً فقط من اختراع التصوير الفوتوغرافي في أوروبا، على أن تاريخ آلة التصوير ذاتها ذوصلة وثيقة بالعالم العربي، فعالم الطبيعيات العربي أبوعلي الحسن بن الهيثم ٣٥٤-٤٣١ (٩٦٥ - ١٠٣٩م) يعتبر أول من وصف تفصيلياً جهازاً بصرياً قادراً على تكوين صورة بواسطة «الغرفة المظلمة». كان ابن الهيثم قد وصف في إحدى كتاباته كيف يكون من شأن ثقب على النافذة الموصدة لغرفة مظلمة أن يجعل صورة من العالم الخارجي تبدومقلوبة على حائط مقابل. وكذلك أوضح الصلة بين حجم الفتحة ووضوح معالم الصورة.

كانت «الغرفة المظلمة» camera obscura معروفة بحلول القرن التاسع (الخامس عشر الميلادي) واستخدمها معماريوما يسمى بعهد النهضة أمثال برونيلشي Brunelleschi، وفي عام ٩٩٧ (١٥٨٨م) وصف المعماري جيوفاني باتيستا ديلا بورتا Giovanni Battista della Porta جدواها كعامل مساعد في الرسم وبحلول بداية القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي) أصبحت تلك الآلة ذات شعبية لدى الفنانين كما أصبحت أداة تسلية، وفي هذه المرحلة تحديداً بدأ العديد من الفنانين والعلماء يسعون إلى تثبيت الصور التي تظهرها تلك الآلة، وقد أدى ذلك إلى التجارب الناجحة التي أجراها داغوير Daguerre وفوكس تالبوت Fox-Talbot بين عامي ١٢٥٥ و١٢٥٧ (١٨٣٩ و١٨٤١م)، وهكذا فإن الأوربيين لم يخترعوا آلة التصوير في حد ذاتها ولكنهم اكتشفوا المعالجات الكيميائية التي مكنت من تثبيت الصورة وتحقيق التطور اللازم في البصريات، ويسرت التحكم في درجة وضوح الرؤية وفي قدر الضوء النافذ إلى آلة التصوير.

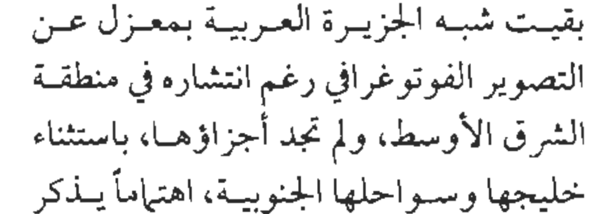
جذبت منطقة الشرق الأوسط بعد عام ١٢٥٧ ( ١٨٤١م) عدداً من أوائل المصورين الأوربيين، وكانت مصر وفلسطين وسوريا محط اهتمامهم ليس بسبب آثارها الباهرة وتداعياتها الإنجيلية فقط وإنما بسبب أهميتها الاستراتيجية لبريطانيا وأوروبا. جذبت إسطنبول، العاصمة العثمانية، المصورين كذلك، وأدركت الحكومتان العثمانية والفارسية بسرعة إمكانيات هذه الوسيلة التوثيقية الجديدة، إلا أن الانتشار الحقيقي للتصوير

الفوتوغرافي في منطقة الشرق الأوسط كان في السبعينيات من القرن الثالث عشر (أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي) حين تم اكتشاف طريقة الكولوديون المبتل wet-collodion وألواح الزجاج السالبة والتي أتاحت نتائجاً أفضل من صور الورق السالبة القديمة.

رسخت أقدام أوائل المصورين المقيمين، وكان الكثير منهم من الأرمن والأوربيين، خلال سبعينيات القرن الثالث عشر ( ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، وقد وجدوا سوقاً لصورهم ليس بين السياح فحسب وإنما بين الموظفين ورجال الجيش التابعين للقوى الأوربية والعابرين للشرق الأوسط في طريقهم إلى الهند والشرق الأقصى. ازدهرت استوديوهات التصوير التجارية عبر منطقة الشرق الأوسط وخاصة في القاهرة ودمشق والقدس وبيروت وإسطنبول، وكذلك في بور سعيد بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٢٨٦ ( ١٨٦٩م). شهدت نهاية القرن الماضي (السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي) تطورات تقنية عديدة شجعت عدداً أكبر من الهواة على التقاط الصور بأنفسهم. وكان أهم تلك التطورات صيغة ألواح الجلاتين الجافة the gelatin dry - plate process والتي جعلت من الممكن إعداد الألواح السالبة مقدماً مما يعفي المصور من مشقة حمل المعدات الثقيلة.



**بيرترام توماس الذي قام في عام ١٣٥٠ (١٩٣١م) بأول عبور لأجنبي للربع الخالي. (توماس ١٣٥٠).**



بقيت شبه الجزيرة العربية بمعزل عن التصوير الفوتوغرافي رغم انتشاره في منطقة الشرق الأوسط، ولم تجد أجزاؤها، باستثناء خليجها وسواحلها الجنوبية، اهتماماً يذكر من قبل القوى الأوربية، خاصة وأنها تضم المناطق المقدسة في الحجاز والتي لا سبيل للسياح بعبورها إلا للمسلمين، وبالرغم من ذلك فقد نجح بعض الأوربيين وأبرزهم ريتشارد بيرتون Richard Burton في زيارة مكة المكرمة في عام ١٢٧٠ (١٨٥٣م)، كما زار السويسري تشارلز ديديه Charles Didier كلاً من الوجه وينبع وجدة والطائف في عام ١٢٧١ (١٨٥٤م). أما الأطراف الأخرى لما تضمه حدود المملكة العربية السعودية اليوم فقد بقيت مغلقة في وجوه الرحالة الأجانب لقسوة أحوالها، وخطورة السفر في بقاع تضعف السلطة المركزية فيها ولا يرحب أهلوها بغير المسلمين. بيد أن مجموعة من المغامرين خاطروا بعبور وسط شبه الجزيرة العربية مثل والين Wallin في ستينيات القرن الثالث عشر ( أربعينيات القرن الميلادي الماضي)، وبالغريف Palgrave وغوارماني Guarmani وبيلي Pelly في سبعينيات وثمانينيات القرن الثالث عشر (ستينيات القرن الميلادي الماضي)، وداوتي Doughty وبلنت Blunt وزوجته في ثمانينيات وتسعينيات القرن الثالث عشر (سبعينيات القرن الميلادي الماضي)، وهوبر Huber في عام ١٢٩٧ (١٨٧٩م)، ثم مرة أخرى في عام ١٣٠١ (١٨٨٣م) برفقة أيوتينغ Euting، والبارون فون نولدا Baron von Nolde في نفس العام، ومن المؤسف أن أياً منهم لم يكن يحمل آلة تصوير فوتوغرافي.

بدأ الوضع في التغير حين تعرف المسلمون على التصوير الفوتوغرافي. وقد حدث ذلك أساساً لأن الجيوش المصرية والعثمانية كانت قد أدرجت من زمن مبكر التصوير الفوتوغرافي كمادة في التدريب العسكري، ولهذا فليس من الغريب أن يكون مساحون مسلمون مثل العقيد محمد صادق أول من أدخل التصوير الفوتوغرافي في المملكة العربية السعودية.

ظهر أول مصور أوربي في الحجاز في عام ١٣٠٢ ( ١٨٨٤م)، وهو عالم الدراسات الإسلامية الهولندي المشهور الدكتور كريستيان سنوك هورغرونيه Christian Snouck Hurgronje الذي اعتنق الإسلام وتسمي بعبد الغفار، وكان قد جاء إلى مكة المكرمة ليسجل مناسك الحج وجوانب الحياة في تلك المدينة، وسرعان ما تبعه مصورون آخرون. كان لآلة التصوير في أيام حملات الملك عبد العزيز آل سعود وخلال فترة الحرب العالمية الأولى أن سجلت العديد من المعالم والمواقف المتصلة بالمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها.

كان طبيعياً أن تغدو الأماكن المقدسة في الحجاز وكذلك مدينة جدة، التي تمثل بوابة التجارة والتدفق السنوي للحجيج، أول مناطق المملكة العربية السعودية التي جذبت انتباه المصورين. كان على آلة التصوير أن تنتظر حتى العقود الأولى من القرن الرابع عشر (بداية القرن الميلادي العشرين) قبل أن تكشف النقاب عن الأجزاء الأخرى لما أصبح فيما بعد المملكة العربية السعودية، أي الجوف وساحل الخليج العربي. ولم يتم التقاط أولى الصور للهجر في نجد، المنطقة الوسطى من المملكة، حتى حلول عام ١٣٣١ (١٩١٢ م)، وكانت الأجزاء الجنوبية من المملكة آخر ما جرى تصويره حيث بدأ تصوير وهاد تهامة منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي (العشرينيات من القرن الميلادي الحالي)، أما هضاب عسير وأصقاع الربع الخالي النائية فكان عليها الانتظار حتى منتصف القرن الماضي (الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الميلادي الحالي) قبل أن تصلها أولى آلات التصوير والتي جاء بها توماس Thomas وفيلبي Philby وثيسيغر Thesiger.

كانت المناطق التي تمثل المملكة العربية السعودية اليوم متفرقة في زمن محمد صادق وسنوك هورغرونيه. فقد كانت منطقة الحجاز، الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينتا جدة والطائف، تحت حكم شريف مكة الخاضع للسلطان العثماني،

وبعد أن اضطر الحاكم المصري محمد علي باشا إلى التخلي عن حلمه في بناء إمبراطورية له في شبه الجزيرة العربية في عام ١٢٥٦ (١٨٤٠م) أصبحت السيطرة العثمانية على الحجاز مقتسمة على نحو غير مريح مع أشراف مكة. على أن افتتاح قناة السويس في عام ١٢٨٦ (١٨٦٩م) فضلاً عن النزعة العثمانية نحو مركزية الإمبراطورية وتحديثها قد أدتا بالعثمانيين في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي (أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي) إلى إعادة ترسيخ حكمهم في منطقة الحجاز، وهكذا تم تعزيز الحاميات في أماكن مختلفة وتم بذل بعض الجهد لتحسين الإدارة وتحديث المنطقة وهو ما توج ببناء سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة بين عامي ١٣١٩ و١٣٢٦ (١٩٠١ و١٩٠٨م).

كان النظام العام، برغم ذلك، مضطرباً وكان الحج تجربة محفوفة بالمخاطر، ولم يكن بوسع العثمانيين في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى الاعتماد على ولاء الشريف حسين بن علي الذي كان يأمل في دور أكبر في شبه الجزيرة العربية. وحين اشتعلت الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٣ (١٩١٤م)، وجدت بريطانيا والدولة العثمانية نفسيهما في حالة المواجهة، وقد تضافرت جهود الشريف وأبنائه مع البريطانيين لبدء ما سمي لاحقاً بـ «الثورة العربية» ضد العثمانيين وهو ما أدى مباشرة إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية.

أدى بروز قوة سياسية مركزية في نجد، أي آل سعود، والتي كانت الرياض مركزها إلى التوتر في الكثير من الحالات في العلاقات السائدة مع الحجاز. بالإضافة إلى هذا فإن حركة التجديد الإسلامي التي كانت الدرعية، ولاحقاً الرياض، مركزها كانت تعتبر مهمتها الأساسية العودة إلى التعاليم السامية للإسلام وتنقيتها مما شابها من البدع، وبعد تسوية النزاع الخاص بمنطقة الخرمة عام ١٣٣٨ (١٩١٩م) استولت القوات السعودية على الطائف بعد إخراج قوات الأشراف، ثم دخلت مكة المكرمة بصورة سلمية وذلك بالرغم من إنجازات الأشراف في بعض العمليات العسكرية خلال الثورة ضد العثمانيين. كان السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بحلول سنة ١٣٤٤ (١٩٢٦م)، قد استولى على جدة مما أدى إلى بسط سلطته على كل أنحاء الحجاز، وفي هذه الأثناء كان الشريف حسين بن علي قد غادر الحجاز.

ظلت منطقة تهامة الساحلية وهضاب عسير لفترة وجيزة تحت احتلال قوات محمد علي باشا وذلك في منتصف القرن الثالث عشر (ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي)، إلا أن محمد علي انسحب في عام ١٢٥٦ (١٨٤٠م) تاركا تلك المنطقة للعودة تحت سلطة الحكام المحليين. ومنذ ذلك التاريخ حكم الأدارسة تهامة من صبيا الواقعة بالقرب من جازان. أما هضاب عسير التي طالما قاومت حكم محمد علي باشا فقد بقيت تحت سلطة أمراء بني مغيد الذين اتخذوا من أبها عاصمة لهم. وكما كان الأمر في حالة الحجاز فقد أدى افتتاح قناة السويس إلى تجدد الجهود العثمانية للسيطرة على منطقة عسير حيث أقاموا بعد عام ١٢٨٨ (١٨٧١م) حامية في أبها، إلا أن قبائل تلك المنطقة الجبلية لم تكن قط سلسة القياد. واستمرت الأمور على مجراها خارج المراكز الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وبحلول عام ١٣٢٨ (١٩١٠م) خلع حاكم تهامة الإدريسي الحكم العثماني وهدد أبها، وكانت تلك خطوة قاومها شريف مكة.

انضم الأدارسة خلال الحرب العالمية الأولى، مثلما فعل الشريف حسين، إلى جانب البريطانيين في مواجهة العثمانيين، وحين غادر العثمانيون شبه الجزيرة العربية نتيجة «الثورة العربية» بقيت عسير تحت حكم الأدارسة. وفي عام ١٣٣٨ (١٩٢٠م) استولى الملك عبد العزيز آل سعود على أبها تاركاً عسير وتهامة حتى تخوم الحديدة كمحمية سعودية تحت السيطرة الاسمية للأدارسة. وبحلول عام ١٣٤١ (١٩٢٢م) توفي محمد الإدريسي ونشبت حرب أهلية تزعمها ابنه وأخوه، وهكذا وجدت اليمن والدولة السعودية الوليدة نفسيهما تتواجهان في النزاع، الذي تمت تسويته آخر الأمر، وفي عام ١٣٥٣ (١٩٣٤م) وضعت اتفاقية الطائف حداً للخلاف الحدودي بين اليمن والمملكة العربية السعودية.

**المستكشف وعالم الطبيعة دوغلاس كاروثيرز على ظهير بعير اشتراه من الشرارت في شمال شبه الجزيرة العربية (كاروثيرز ١٣٢٨/١٩١٠م).**

كانت نجد وشرق شبه الجزيرة العربية قد شهدت تحت حكم الإمام فيصل بن تركي آل سعود الذي كانت عاصمته مدينة الرياض، فترة من الاستقرار النسبي بين عام ١٢٥٩ حتى وفاة الإمام فيصل في عام ١٢٨٢ (١٨٤٣ - ١٨٦٥م)، وقد أدى الصراع بين ابنيه عبدالله وسعود إلى حالة من عدم الاستقرار في نجد وشرق شبه الجزيرة العربية، وهو ما انتهزه حاكم بغداد العثماني مدحت باشا فضم الأحساء مقاطعة تابعة للدولة العثمانية في عام ١٢٨٨ (١٨٧١م)، وقد أقيمت حاميات في الهفوف والقطيف وتم تحديث الإدارة إلا أن حالة النظام العام، مثلما هو الأمر في المناطق الأخرى، ظلت تحفها المخاطر وفشل العثمانيون في السيطرة على القبائل البدوية، وقد استمر ذلك الحال حتى ضم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الأحساء إلى نجد في عام ١٣٣١ (١٩١٣م).

كان من شأن صعود نجم آل رشيد في حائل، خلال الاحتلال العثماني للأحساء، تحييد نفوذ الرياض في سدير وفي بلدتي عنيزة وبريدة الواقعتين في منطقة القصيم الكثيفة السكان. وبحلول عام ١٣٠٩ (١٨٩١م) نصب حاكم حائل حاكماً على الرياض حيث غادرها آل سعود إلى الكويت. حرص حاكم حائل على انتهاج علاقات طيبة وخلق نوع من التحالف مع العثمانيين، وكانت الجوف ووادي السرحان إلى الشمال من صحراء النفود الكبرى خلال العشرينيات من القرن الماضي (السنوات المبكرة من القرن العشرين الميلادي) منطقتي نزاع بين حائل وشيوخ آل شعلان زعماء قبيلة الرولة التي تقطن بادية الشام. كان من شأن عودة

**أعلى يسار: جيرارد ليشمان (١٢٩٨-١٣٣٨/١٨٨٠-١٩٢٠م) الذي كان أحد أكثر رجال الاستخبارات البريطانية فاعلية في الصحراء خلال الحرب العالمية الأولى، وأحد الأجانب القليلين الذين تمكنوا من التمويه عن أنفسهم بنجاح ليبدو كأحد رجال القبائل (حوالي ١٣٢٨/١٩١٠م) (المصدر مجهول).**

**أعلى يمين ووسط:** أرشيبولد فوردار في لباس عربي ولباس إفرنجي، وقد قام فوردار برحلته الاستكشافية إلى شمال شبه الجزيرة العربية قادما من شرق الأردن (فوردار حوالي ١٣١٨/١٩٠٠م).

الرياض تحت حكم الإمام عبد العزيز آل سعود في عام ١٣١٩ (١٩٠٢م) بدء صراع استمر طويلاً مع حائل جرى في ظل التأييد العثماني لحائل، وقد تمكن الإمام عبد العزيز آل سعود آخر الأمر من توحيد المنطقة بكاملها تحت حكمه من الرياض اعتباراً من عام ١٣٣٩ (١٩٢١م).

كانت استعادة الإمام عبد العزيز آل سعود للرياض عام ١٣١٩ (١٩٠٢م) بكل روعتها إيذاناً ببداية حملاته لإنشاء المملكة العربية السعودية، فبحلول عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م) تمت إعادة مناطق نجد الجنوبية والقصيم إلى حكم آل سعود. تلت ذلك سلسلة من الحملات التي مكنت الإمام عبد العزيز آل سعود من فرض السلطة على القبائل وتشجيع قيام حركة الإخوان التي استمدت قوتها من رجال القبائل الذين أصبحوا فيما بعد نواة قوة عسكرية مساندة للإمام عبد العزيز آل سعود الذي تمكن من السيطرة على الأحساء والقطيف عام ١٣٣١ (١٩١٣م) وعلى عسير عام ١٣٣٨ (١٩٢٠م) وعلى حائل والجوف عام ١٣٣٩ (١٩٢١، ١٩٢٢م) ثم على الحجاز ما بين عامي ١٣٤٣ و١٣٤٤ (١٩٢٤-١٩٢٦م). لقد كان هناك عاملان أساسيان أديا إلى أن ينحى تاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك المنحى وهما انبعاث الرياض كقوة سياسية دينية بزعامة قائد فذ، وانهيار السلطة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

استدعى تأسيس الدولة السعودية إنشاء سلطة مركزية قوية على الأقاليم وعلى قبائل البدو المتحاربة وذاتية الاعتماد، وقد تم تحقيق ذلك بادىء ذي بدء في عهد الدولة السعودية الأولى ما بين عام ١٥٨ و١٢٣٤ (١٧٤٥-١٨١٨م)، والتي كان مركزها الدرعية، وذلك عندما تعهد الإمام محمد ابن سعود بنصرة الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب. كما تحقق ذلك خلال عهد الدولة السعودية الثانية ما بين عام ١٢٤٠ و ١٣٠٩ (١٨٢٤-١٨٩١م) حين امتد حكم الأئمة السعوديين على رقعة أقل مساحة، أي على نجد والأحساء، انطلاقاً من عاصمتهم الجديدة الرياض. أما استعادة الملك عبد العزيز آل سعود لملك آبائه فقد مثلت انتصاراً متجدداً لمبادىء راسخة وتأكيداً للنظام وتجاوزاً للعصبية القبلية، وهي قيم أصبحت مرتبطة بحكم آل سعود لأكثر من قرن ونصف من الزمان.

تيسر السبيل إلى الحجاز كثيراً بافتتاح سكة حديد الحجاز في عام ١٣٢٦ (١٩٠٨م)، وبدأ الرحالة مصحوبين بآلات التصوير تحدوهم دوافع شتى يعبرون تباعاً إلى الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية، بدءً بآرشيبولد فوردار Archibald Forder في عام ١٣١٩ (١٩٠١م)، ثم بتلار Butler وآيلمار Aylmer، وعالما الآثار الفرنسيان الوافدان من القدس جاوسين Jaussen وسافيناك Savignac في عام ١٣٢٥ (١٩٠٧م)، والمكتشف وعالم الطبيعة دوغلاس كاروثيرز Douglas Carruthers في عام ١٣٢٧ (١٩٠٩م) وعالم الإنسانيات النمساوي ألويس موسيل Alois Musil منذ عام ١٣٢٦ (١٩٠٨م). ثم كانت الرحلة التي قامت بها إلى حائل ما بين عامي ١٣٣٢ و١٣٣٣ (١٩١٣-١٩١٤م) الرحالة البريطانية غيرترود بيل Gertrude Bell، التي أصبحت ذات نفوذ سياسي في العراق فيما بعد، وبالرغم من أن الرحلة كانت لأسباب شخصية، فقد كانت معلوماتها جليلة النفع للاستخبارات البريطانية. وتمثل صورها الفوتوغرافية عن حائل أول سجل تفصيلي مصور لبلدة نجدية.

كانت الاستخبارات البريطانية والألمانية خلال التأهب للحرب العالمية الأولى في حاجة إلى معلومات أكثر حول القبائل والحكام في أطراف الإمبراطورية العثمانية في شبه الجزيرة العربية.



**حرس فوردار في دومة الجندل (فوردار ١٣١٩/١٩٠١م).**

وقد اتسمت السياسة الرسمية لبريطانيا حتى ذلك الوقت بعدم التدخل في مناطق النفوذ العثماني ، إلا أنه منذ ذلك الحين بدأ العملاء الأوربيون والعثمانيون في التسابق سعياً للنفوذ في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها. بدأ أوائل الرحالة في الوصول إلى نجد في هذه الفترة، وهم تواقون لخلق اتصال مع الأمير عبد العزيز آل سعود في الرياض، وكان من هؤلاء الدنماركي باركلي رونكيار Barclay Raunkiaer في عام ١٣٣١ (١٩١٢م) والبريطانيون جيرارد ليشمان Gerard Leachman في نفس العام، ووليام شكسبير W. H. I. Shakespear في عام ١٣٣٣ (١٩١٤م) وهاري سان جون فيلبي Harry St. John Philby عامي ١٣٣٦ و١٣٣٧ (١٩١٧-١٩١٨م). كان هؤلاء الرحالة مدفوعين باهتمامهم الخاص بالاستكشاف مثلما كانوا مدفوعين بالتشجيع الرسمي لنشاطاتهم السياسية، ولقد أمكن، بناءً على معلومات هؤلاء الرحالة، تحديد خطوط الطول والعرض للأماكن التي عبروها، مما يسر رسم خرائط أفضل، كما ساهمت الصور الملتقطة في كشف النقاب لأول مرة عن تضاريس المنطقة ونمط الحياة فيها.

تم التقاط الكثير من الصور الأولى تحت ظروف بالغة القسوة، فقد كان الترحال الصحراوي محفوفاً بالمخاطر في أفضل حالاته حتى بالنسبة لذوي الدراية من الرحالة مثل غيرترود بيل التي كانت لا تخاطر بالترحال إلا إذا ساد السلم بين القبائل، ولهذا تعتبر نجاة أي مادة مصورة وبقاؤها أمراً نادراً. يمكن اعتبار الرحالة آرشيبولد فوردار، بالرغم من اندفاعه وعدم وضوح أهدافه في رأي البعض، خلفاً جديراً للرحالة البريطاني المشهور داوتي Doughty وذلك لمخاطراته بين قبائل شمال شبه الجزيرة العربية والجوف، والمصاعب التي كان مستعداً لتحملها. ولعل ما رواه الرحالة آرشيبولد فوردار يعطي فكرة عما كانت تبلغه الأمور خلال تلك الرحلات:

*«كان المشي عبر الرمال الكثيفة وتحت لظى الشمس جهداً شاقاً، ولم تكد تمر ساعتان من الزمن حتى تداعيت إلى الأرض منهكاً. كان الدليل يسبقني قليلاً مع الحمار، ناديته فتوقف ثم أنزل الحقائب عن ظهر الحمار ورمى بكل ما فيها على الرمال، وعندما حمل ألواح التصوير الفوتوغرافي، جعله وزنها يعتقد أن بها مالاً، وسرعان ما فتح بخنجره صندوقين وأفرغ أربعة وعشرين لوحاً فوتوغرافياً على الرمال، ولما لم يدرك ما يمكن عمله بها دفنها في الرمال وعاد إلي طالباً مني أن أقف وأتبعه وإلا سوف يمضي بدوني. مشيت وراءه وأنا أعرج طيلة ساعتين برغم العطش وبرغم الألم في أطرافي الموجعة. لمحنا آخر الأمر على البعد نخلة، ورأيت على مقربة منها خيمةً عربيةً. لم أكن لأرحب بمشهد أكثر من ذلك ولم أكن لأجد مأوىً أكثر قبولاً من ذلك المنزل. خرج صاحب الخيمة إلي وحمل عني الحقائب ثم ساعدني في الدخول وأتاح لي ركناً داخل الخيمة.»*

عانى قليل من الرحالة، لحسن الحظ، مثل ما عاناه فوردار من معاملة، ولعل كونه مدفوعاً بمهمة تنصيرية يجعله يمثل حالة خاصة. على أنه بغض النظر عن ذلك، فإن الأهالي كانوا غالباً ما يشعرون بريبة حيال أولئك الأجانب الذين يجمعون معلومات من كل نوع عن بلادهم سواءً كانت مكتوبة أومصورة. ولقد مر رونكيار بتلك التجربة في رحلة عبر نجد في عام ١٣٣١ (١٩١٢م). فبعد أن لاحظ أن معدات التصوير الفوتوغرافي لا يمكن استخدامها إلا بمخاطرة عظيمة وذلك خلال لحظات نادرة بعيدة عن عين الرقيب، سجل لاحقاً ما لقيه خلال تحقيق عسير من أمير بريدة حول نشاطاته في تجميع المعلومات، كما سجل وصفا لحادثة وقعت في واحة الشماسية القريبة من بريدة:

*«قمت بالتقاط سلسلة كاملة من الصور، بالقرب من بئر في الواحة ذاتها، وكذلك حين غادرنا بساتين النخيل وعلونا عبر الكثبان الرملية. كل ذلك وأنا أخفي بأقصى جهد معداتي الفوتوغرافية بعباءتي. على أن عصف الريح أزاح طرفا من العباءة جانباً فلمعت القطع النيكلية*

**أعلى الصفحة المقابلة: صورة النقيب شكسبير الشهيرة لرجال الملك عبد العزيز آل سعود، وقد التقطها في ثاج بالمنطقة الشرقية (شكسبير ١٣٢٩/مارس ١٩١١م).**

**أسفل الصفحة المقابلة: سيارة فورد التابعة لهولت تعاني بعض المصاعب بالقرب من الجوف في الأزمنة المبكرة لاستخدام السيارة، حينما كانت الإبل لا تزال هي الوسيلة الأفضل (هولت Holt ١٣٣٩/١٩٢١-١٩٢٢م).**



*من المعدات بفعل الشمس أمام أعين الأهالي المندهشين والذين بدت عليهم مظاهر واضحة للاستثارة. اتخذ مرافقي أيضا موقفاً غير ودي نحوي في تلك اللحظة مما جعلني أدرك بأنني أخاطر بالبقاء وحيداً إن لم أمتنع عن التصوير. لم تكن عودتي، بعد تلك الحادثة، إلى الشماسية فضلاً عن قضاء الليل هناك، أمراً يمكن التطلع بابتهاج. كانت رحلة العودة عن طريق الزلفي غير محببة إلى النفس، وأعتقد أن هناك أماكن قليلة يمكن أن تصيب عودة المرء أدراجه إليها بعواقب وخيمة أكثر من شبه الجزيرة العربية.»*

تذكر غيرترود بيل، بالمقابل، في آخر صباح لها خلال زيارتها لحائل عام ١٩٣٣ (١٩١٤م)، وبالرغم من الصعوبات التي واجهتها في البداية: «أتاحوا لي مشاهدة كل شيء، وسمحوا لي بتصوير كل شيء، وبأن أفعل ما يرضيني تماماً».



**الدبلوماسي البريطاني جورج ريندل في قصر البديعة بالرياض (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).**



**الجيولوجي ماكس ستاينيكي (أرامكو: الخمسينيات من القرن الرابع عشر/ ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي).**



**كارل رسوان، الألماني الأمريكي خلال إقامته مع قبيلة الرولة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).**

كانت المشاكل تبرز أحياناً نتيجة لعزوف بعض الناس عن تصويرهم بجهاز غير مألوف، ولم يكن السبب الكلام عن «العين الشريرة» فقط، وإنما لأنه كان هناك شعور، منذ دخول آلة التصوير إلى منطقة الشرق الأوسط، بأن تحريم الإسلام لتجسيد كل ذي روح ينطبق على آلة التصوير أيضاً. كانت آلة التصوير الضخمة الخاصة بشكسبير، بقوائمها الثلاثية وكسائها الأسود، تتطلب ترتيبات لضبطها، وما أن كان يتم ذلك في بعض الأحيان حتى كان الأشخاص الحذرون المنوي تصويرهم يغادرون موقع التصوير. وعلى أية حال فإن ما بقي من ألواحه الزجاجية السالبة لم تتح لنا فقط مجموعة من الصور الأولى لوسط شبه الجزيرة العربية وشرقها وإنما بعض أكثر تلك الصور جودة، وكان من بين تلك الصور أولى الصور المعروفة للملك عبد العزيز آل سعود وأتباعه في الكويت وفي الأحساء ما بين عامي ١٣٢٨ و١٣٢٩ (١٩١٠-١٩١١م). كانت أكثر المشاكل المبكرة للتصوير شيوعاً فنية بحتة، فقد كانت المعدات في البداية هائلة الحجم، صعبة النقل والضبط. كان بوسع حرارة الشمس إفساد الألواح السالبة تماماً، وقد كانت محاولات تظهير تلك الألواح في الصحراء تعني خسائر إضافية.

زادت أهمية الرياض باضطراد في الفترة التي تلت نهاية الحرب العالمية الأولى خاصة بعد انضمام عسير وحائل والجوف إليها، وتم الاعتراف عالمياً بالملك عبد العزيز آل سعود كأكثر حكام شبه الجزيرة العربية تأثيراً، مما جذب أعداداً متزايدة من الزوار إلى مجلسه. بقيت جدة، بعد ضم الحجاز في عام ١٣٤٤ (١٩٢٦م) المركز الدبلوماسي للمملكة العربية السعودية، وكان لاختراع السيارة والاتصال اللاسلكي وجرأة الملك عبد العزيز آل سعود في الانتفاع بهما، أن تحسن الاتصال كثيراً بين الرياض وبقية المناطق، وأصبح وجود آلات التصوير مع مرور الوقت أمراً مألوفاً. جدير بالذكر أن من بين أبرز الزوار الذين قاموا بالتصوير في مدينة الرياض في الأربعينيات من القرن الماضي (العشرينيات من القرن الميلادي الحالي) الكاتب الأمريكي اللبناني الأصل أمين الريحاني في عام ١٣١٤ (١٩٢٢م) ومحمد ليبولد فايس M. Leopold Weiss في عام ١٣٤٨ (١٩٢٩م) الذي كان يهودياً بولندياً اعتنق الإسلام وتسمى بمحمد أسد وأصبح لاحقاً دبلوماسياً وكاتباً إسلامياً بارزاً. أما الأمريكي الألماني الأصل، كارل رسوان Carl Raswan والذي عاش مع قبيلة الرولة بين عامي ١٣٣١ و١٣٣٣ (١٩١٢-١٩١٤م)، فقد عاد ومعه آلة تصوير في عام ١٣٤٥ (١٩٢٦م) ليتنقل معهم في شمال شبه الجزيرة العربية حتى بلغ صحراء النفود جنوباً.

ترسخت بحلول أوائل الخمسينيات من القرن الماضي (الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي) مكانة الرياض كعاصمة للمملكة العربية السعودية، وقد تعاقب على زيارتها العديد من الدبلوماسيين الذين كان الملك عبد العزيز آل سعود يستضيفهم في قصر الضيافة بالبديعة



**تي. إي. لورانس في زي نقيب في الجيش مرتديا الغترة والعقال خلال الثورة العربية (لورانس حوالي ١٣٣٦-١٣٣٧/١٩١٧-١٩١٨م).**



**جيرالد دي غاوري، المعتمد البريطاني في الكويت خلال الخمسينيات من القرن الرابع عشر (ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي)، والمبعوث الخاص لدى الرياض خلال الحرب العالمية الثانية (دي غاوري).**



**إيلو باتيجيلي، أحد مصوري أرامكو (باتيجيلي ١٣٦٧/١٩٤٧م).**

أصبح لزاماً على السعوديين، وفي كل المناطق المذكورة في هذا الكتاب، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبالتحديد منذ الارتفاع الملموس في أسعار النفط في التسعينيات من القرن الماضي (السبعينيات من القرن الميلادي الحالي)، أن يتكيفوا مع تغيرات لا يضاهيها في ميزان التجربة البشرية، إلا ما شهدته بنسبة مختلفة بعض بلدان الخليج العربي. حدث ذلك الانتقال من نمط حياة كان مألوفاً طيلة قرون عديدة بالنسبة للكثير من الناس، خلال فترة لم يتمكن النسيان من البدء في التطرق إليها، وتمثل الصور المعروضة في هذا الكتاب تذكيرا بأسلوب الحياة القديم الصعب في واحدة من أكثر بقاع الكرة الأرضية قسوة في بيئتها.

كان معظم الزوار الذين التقطوا صورا فوتوغرافية لمناطق المملكة العربية السعودية قبل الحرب العالمية الثانية من البريطانيين، الذين دعتهم قسوة ظروف الحياة في المملكة للتعبير عن تقديرهم لرجال القبائل، البدو منهم والمزارعين، رغم المصاعب العديدة التي كان بعض الزوار قد يلقاها على أيديهم أحياناً. وقد استمر ذلك الوضع حتى الخمسينيات من القرن الماضي (الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي)، حين بدأ الأمريكيون المشاركون في التنقيب عن النفط في الوصول إلى المملكة العربية السعودية.

كان من شأن عظمة أرض شبه الجزيرة العربية القفر، التي لا تبدى رحمة حيال إنسان يعبرها وحيداً، أن خلقت افتتانا عارماً بها من قبل بعض الرحالة البريطانيين الذين كانوا يستمتعون بإبداء أقصى درجات الاحتمال. ولقد تمت كتابة الكثير عن تأثير شبه الجزيرة العربية على أولئك النفر الذين تأثرت نفوسهم بانبساط البلاد وقيم أهلها وببساطة الحياة وشظفها، بغض النظر عن أسباب رحلاتهم سواء كانت سياسية أوعسكرية أوعلمية أواستكشافية أودينية. ويتفق أكثر من رحالة على أن شبه الجزيرة العربية، كما ذكر اللورد بيلهيفن Belhaven ابن المعتمد السياسي في الكويت .آر. إي. أيه هاميلتون R. E. A. Hamilton والذي زار الرياض في عام ١٣٣٦ (١٩١٧م)، «محبوبة قاسية القلب، تجازي محبيها بضنى الأجسام اضطراب العقول». وتحمل هذه المقولة اعترافا لا تفسيراً للسحر الجذاب الذي كانت وما زالت شبه الجزيرة العربية تعنيه بالنسبة لعشاقها.

الواقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة. كان من بين أولئك جيرالد دي غاوري Gerald de Gaury في الأعوام ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٨، ١٣٥٩ و١٣٦٤ (١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٩، ١٩٤٠ و١٩٤٤م)، وأندرو رايان Andrew Ryan في عام ١٣٥٤ (١٩٣٥م)، وريدار بولارد Reader Bullard ما بين عامي ١٣٥٥ و١٣٥٨ (١٩٣٦-١٩٣٩م)، وجورج ريندل George Rendel وهارولد ديكسون Harold Dickson في عام ١٣٥٦ (١٩٣٧م).

تم اكتشاف وجود النفط بكميات تجارية في المنطقة الشرقية بين عامي ١٣٥١ و١٣٥٧ (١٩٣٢-١٩٣٨م)، وكان مدلول ذلك الحدث السعيد أن الظروف قد تهيأت لتبدأ تلك الثروة الجديدة في التدفق بعد الحرب العالمية الثانية ولتبزغ من الرياض شمس التنمية الشاملة على المناطق الشاسعة للمملكة العربية السعودية. أما فيما يتعلق بموضوع التصوير الفوتوغرافي، فقد قام المكتشفون الأمريكيون، لحسن الحظ، بالتقاط صور ممتازة ليس للمنطقة الشرقية وحدها، خاصة واحتي الأحساء والقطيف، وإنما للرياض وجدة والطائف ومناطق نجد والحجاز الأخرى أيضا. كان من بين أبرز مصوري أرامكو، الجيولوجي ماكس ستاينيكي Max Steineke، وفلويد أوليغار Floyd Ohliger، وجوماونتين Joe Mountain، وإيلو باتيجيلي Ilo Battigelli (المشهور بلقب القرصان)، وكذلك تي. إف. والترز T. F. Walters.



**قافلة حجاج خارج مكة بهوادجها. لقد تنقل الحجاج إلى بيت الله الحرام عبر أصقاع شبه الجزيرة العربية، لقرون عدة على هذا النحو. جاءت آلة التصوير في الوقت المناسب لتسجل أفول الأيام القديمة (فيلبي ١٣٥٠/١٩٣١م).**

كان يجذب أولئك الرحالة إلى شبه الجزيرة العربية إدراكهم لاكتفاء أهلها الذاتي وتعودهم على شظف العيش، والتعاضد القبائلي وروح الاعتماد الذاتي اللذان كانا يصطدمان في أحيان كثيرة بالمساعي الرامية إلى إنشاء سلطة مركزية ، كما كان يجذبهم إليها أيضاً الكرم الحاتمي الذي كان يبديه رجال القبائل تجاه الغرباء الذين يكونون في حمايتهم. أما حين برز الملك عبد العزيز آل سعود إلى الساحة فقد أضيف إلى هذه الأسباب انجذابهم إلى شخصيته وإنجازاته الباهرة.

يضاهي ما كتبه تي. إي لورنس T. E. Lawrence في القرن الماضي في «أعمدة الحكمة السبعة Seven Pillars of Wisdom» الكتابات الرائعة التي خطها بالغريف وداوتي عن تجاربهما في شبه الجزيرة العربية. إلا أنه فيما كان بالغريف وداوتي غير قادرين على التقاط الصور، أصبحت آلات التصوير في زمن لورنس أمراً مألوفاً، وهناك العديد من الصور للأشخاص والأماكن ذات العلاقة بـ «الثورة العربية». تعزز معرفة تلك الصور فهمنا لتلك المرحلة ولإحساسنا بأسلوب الحياة الذي مضى بشكل أقوى من أي وصف لفظي، ولا ريب في أن كتابات فيلبي الموسوعية عن المملكة العربية السعودية مرجع له حتى الآن قيمته، إلا أن هذه القيمة ازدادت كثيراً بالصور العديدة التي التقطها، رغم التفاوت في درجات جودتها، منذ عام ١٣٣٦ (١٩١٧م) والأعوام اللاحقة. أما حين تقترن المقدرة الإبداعية بالجسارة وبالحس الفوتوغرافي الباهر، كما هو الأمر في حالة ثيسيغر، فإن النتيجة ستكون سجلاً حياً رائعاً للماضي.

تحتفظ الصور أيضا بتأثير آخر يتمثل في تصحيح تصور خاطىء سائد بين الغربيين عن المملكة العربية السعودية. فهم كثيراً ما يتصورون أن جميع أرجاء المملكة العربية السعودية كانت في الماضي مأهولة بقبائل البدو الرُحَّل، علماً بأنه قد يكون من المفاجيء أن نعلم أن البدو لم يسبق لهم قط أن كانوا يمثلون أغلبية سكان المملكة. كان معظم سكان شبه الجزيرة العربية، منذ الأزمان السحيقة، من الحضر المزارعين، وكانت هناك أعداد متفرقة من التجار ومن أصحاب القوافل الذين كانوا يمثلون رجال الأعمال الرواد في تلك الفترة. توضح هذه الصور أيضا التنوع الهائل في أنماط المستوطنات والعمارة في المملكة العربية السعودية. فهناك المنازل المبنية بالطين في نجد ومنازل الأحجار المرجانية في ساحل الحجاز. وبيوت الطين والحجر البرجية في عسير، والتي تمثل جميعها امتداداً لتقاليد عريقة في العمران.

لا يمكن في كتاب بمثل هذا الحيز إلا تقديم عدد قليل منتقى من عدة آلاف من الصور الخاصة بتلك المرحلة الهامة والممتدة بين ثمانينيات القرن الثالث عشر وأوائل سبعينيات القرن الرابع عشر (ستينيات القرن التاسع عشر وأوائل خمسينيات القرن العشرين الميلادي)، وهي المرحلة التي شهدت نشأة المملكة العربية السعودية وخطواتها الأولى صوب التنمية الشاملة. كان الهدف هنا أولاً اختيار الصور التي تعكس بأفضل طريقة ممكنة أنماط الحياة القديمة في المملكة العربية السعودية، ومن ثم الانتقاء من بينها لأفضلها جودة من الناحية الفوتوغرافية.

أدت أحداث التاريخ إلى استحالة العثور على صور لجميع أجزاء المملكة العربية السعودية، ففي حين وفر الدور السياسي لمدينة الرياض تغطية فوتوغرافية وافية للمدينة القديمة، يندر من جهة أخرى، لسوء الحظ، وجود صور قديمة لمنطقة القصيم، تلك المنطقة من نجد ذات الكثافة السكانية العالية ببلدتيها التوأمتين المزدهرتين عنيزة وبريدة والمتميزتان عمرانياً، خاصة وأن البنائين في القصيم كان مشهوداً لهم بالمهارة. وبالمثل فإن الأجزاء من نجد

والواقعة إلى الجنوب من الرياض تكاد تكون معدومة التوثيق الفوتوغرافي. يعرض الكتاب، بالرغم من ذلك، محاولة لإبراز مناطق المملكة العربية السعودية المختلفة بصورة متوازنة ما أمكن ذلك، باستخدام صور معروفة أصلاً، بالإضافة إلى عرض صور قد تكون غير معروفة من قبل إلاّ للمتخصصين.

يمكن لآلة التصوير أن تحكي الكثير عدا عن تفاصيل الملابس والأدوات المستعملة وأشكال المباني، فهي توقف سير الحياة، إذا جاز التعبير، ولو للحظة. ولهذا فإذا كان المصور يعمل في ظروف عجلة قد لا تُمكنه من تمييز اللقطة المطلوبة فقد يجيء اختيار اللحظة المناسبة عشوائياً، وبهذا تصبح تلك اللقطة أهم من اللحظة التي التقطت فيها. لم تكن الظروف في شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الماضي تتيح للمصورين أن يكونوا في المكان المناسب في الوقت المناسب إلا نادراً، وذلك في بعض الأحداث السياسية التي كانوا طرفاً مسئولاً عن تسجيلها. إن صورة ما لوجهاء كانوا متهيئين لالتقاط صورهم مهمة كتوثيق لواقعة دبلوماسية معينة ولكنها لا تحكي لنا عن أسلوب الحياة التي مضت مثلما تحكيه صورة عن العادات السائدة أو الأنشطة اليومية. إن أفضل الصور هي تلك التي تختزن حدثاً غير آني ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بماضي شبه الجزيرة العربية وسكانها، وتتحدث عن علاقتهم بالأرض، وأسواقهم الأسبوعية، أو عن حملة تتأهب للحرب، أو بدو يستعدون لشد الرحال بحيواناتهم ومقتنياتهم المحدودة، أو تُصوِّر جلب الماء بالدلو من آبار الصحراء والواحات، أو أساليب الزراعة أو الحياة الفطرية التي انقرضت.

يتأكد من تلك الصور أن العيش في البيئة القاسية لشبه الجزيرة العربية لم يكن يستلزم إلا القليل من التجهيزات، فلم يكن الناس في حاجة إلا إلى القليل من الحاجيات من أجل العيش، وكانوا يصونون ما يقتنونه، سواءً كان مبنىً أو دلواً جلدياً، بعناية تامة. كان بوسعهم الاكتفاء بهذه الأدوات البسيطة، وتحدي انبساط الصحراء وخوائها، أو وعورة الجبال التي تحيط بمساكنهم أو مضارب خيامهم أو آبارهم ومراعيهم، وكان الناس أنفسهم أشداء الأبدان يرضون بالصعاب وبالحياة المحفوفة بالمخاطر.

كان ما نراه في تلك الصور العماد الأساسي للحياة، ويمكن اليوم أن نُصوِّر بستاناً للنخيل ترويه القنوات المائية، أو قطيعاً من الإبل في الصحراء بحيث تبدو الصورة وكأن شيئاً لم يتغير قط، إلا أن مدلول مثل هذه الصور مختلف تماماً. فالنخلة اليوم لها نفع محدود يتمثل في توفير محيط لطيف للحياة خارج البيوت وفي إتاحة الظروف لزراعة منتجات أخرى، وهي لم تعد الشرط الضروري والأساسي لحياة مستقرة يعتمد الناس على ثمرها كغذاء رئيسي. أما الإبل التي لم يكن من الممكن بدونها، حتى عهد قريب، اجتياز صحارى شبه الجزيرة العربية الشاسعة أو حتى نشوء أنظمة للنقل، فقد أصبحت ذات نفع محدود في العصر الحديث.

استطاعت الصور تسجيل الكثير من مظاهر الحياة العامة للمملكة العربية السعودية القديمة، ولم تتمكن الصور من تسجيل بعض ملامح الحياة اليومية، خاصة تلك التي تتعلق بالنساء، على أنه مهما كانت محدودية إطلالة تلك الصور فإنها تكشف لنا شيئاً عن المجتمع القديم الذي هو أصل تقاليد المواطنين السعوديين اليوم، وتوضح الأسس الثقافية التي توحدهم. يعتبر الالتزام بالإسلام وتعاليمه وقيمه الرابط الأساسي بين سكان المملكة، وهو أمر من الطبيعي أن يكون في منبع الإسلام ورحاب الحرمين الشريفين. ويتمسك السعوديون، بالرغم من المتغيرات السريعة المحيطة، بدينهم وتراثهم وماضيهم مصدراً للاعتزاز والقوة والطمأنينة. ويتبدى ذلك في حياتهم الخاصة مثلما يتبدى في سياسات الحكومة المتعلقة برفاهية المواطن. ويمثل الالتزام الشخصي بالدين، وتقاليد الضيافة، والارتباط بالعائلة، والالتزام بالزي الوطني تعبيرا عن هذا التمسك. ولعل أبرز الأمثلة على التمسك بالثوابت هو التزام حكومة المملكة العربية السعودية برعاية الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، وهو التزام يتبدى في التوسعات والأعمال التطويرية الهائلة التي تمت خلال السنوات الأخيرة والتي أدخلت تحولاً كبيراً على مكة المكرمة والمدينة المنورة منذ أيام صادق وهورغرونيه.

**تحميل هودج لسيدة من قبيلة الرولة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).**



# قــرن من التصـــوير خلال قـرن من التغير

جيليان غرانت

قام ضـابط مصري بـرتبة عقيـد اسمه محمـد صادق في عـام ١٢٧٧ (١٨٦١م) بعملية مسـح عسكري لطـرق الحج بين الوجـه والمدينة المنـورة وينبع، وكـان يحمل معـه معدات المسـاحة المعتادة إلا أنه كان يحمل أيضاً جهازاً جديداً لتسهيل مهمته هو آلة تصـوير ضخمة تعمل بطـريقة الألواح المبتلة، التقـط بها ما يعتقد أنها أولى صور المدينة المنورة (أنظر ص ٨).

تحققـت أول معـالجة فـوتـوغـرافية نـاجحـة في عـام ١٢٥٥ (١٨٣٩م) على يد الفـرنسي جاك مـانديـه داغويـر وقد كـانت نتاجاً لقرون عديدة مـن التطور في علوم البصريات والكيمياء. لم يكن بـوسع تلك الطـريقة الجديـدة أن تنتج أكثر مـن صورة مـوجبـة واحدة فقـط، وكـانـت التكلفة المالية والخبرة الفنيـة الـلازمتان لإنتـاج تلك الصـورة قد جعلتـاها قصراً على عـدد محدود مـن المتحمسين. حدث شيء مـن التقدم في عـام ١٢٥٧ (١٨٤١م) عنـدمـا سجلـت براءة اختراع لطـريقـة «سـالبـة ـ موجبة» لفوكس تالبوت، وقـد استخدم فيها ورقاً مشبعاً بملح الطعام كحامـل للأملاح ذات الحساسية تجاه الضـوء واللازمة لإنتاج صورة «ثابتة». تعتبر الطريقـة الجديدة المسماة (كالوتايب Calotype) أو (تالبوتايب Talbotype) تقدماً كبيراً، وكان لها من يستخدمها من المحترفين، إلا أن الورق لم يكن مادة سالبة ذات استمراريـة، كما أن الصور الموجبـة الناتجة عـن تلك العمليـة لم تكن واضحـة المعالم تماماً، وكـانت معـالمها، في أحيان عـديدة، تميل إلى التلاشي بعد مرور شهور قليلة، ولهذا استمر الخبراء في إجراء التجارب.

تحقق التقــدم الحقيـقي في عـام ١٢٦٨ (١٨٥١م) عنـدما نشر فـريدريك سـكوت ـ آرشر Frederick Scott-Archer وصفاً لطريقته الجديدة التي أسماها طـريقة الكولوديون المبتل والتي استخدمت الزجاج بدلاً من الورق كحامل للأملاح ذات الحساسية تجاه الضوء. يعتبر اللوح السالب الزجاجـي أكثر قابلية للتحمل مقارنة بالورق ويتيح الحصـول على صور موجبة أكثر وضوحـاً، كما أنه يمكن طبـع نسخ عديـدة من اللوح السـالب الزجـاجي باستخـدام الورق المغطى بالألبومين albumen والذي تم تطويره من قبل بلانكوارت ـ إيفارد Blanquart-Evrard في عـام ١٢٦٧ (١٨٥٠م). لم يتـم قـط تسجيـل بـراءة اختراع طـريقـة سكـوت ـ آرشر، ولهذا فقـد أدى الإعـلان عنهـا إلى توسـع عام في استخدام التصوير كوسيلة جديدة.



**العقيد محمد صادق. لا نعرف عن حياته إلا القليل، غير أن موهبته في مجال التصوير الفوتوغرافي جرى الاعتراف بها حين تم منحه شهادة تقدير وميدالية ذهبية في مهرجان البندقية لعامي ١٢٨٤ و ١٢٩٩ (١٨٧٦ و١٨٨١م)، أما في عام ١٣٠٥ (١٨٨٧م) فقد تم منحه ميدالية تقدير من قبل الخديوي نفسه.**

استثـار التصويـر الفـوتوغـرافي، كلما اتسـع انتشـاره، مشاعـر متضـاربة، ففـي حين عـارضـه البعض استنـاداً إلى منطلقـات أخلاقية أو دينية، انبهر به آخرون من أولئك المتحمسين للتقدم العصري والذين كانوا متشوقين للإمكانات التي يتيحها، وكان أبرز دعـاة التحديث بين الحكام في الشرق الأوسـط السلطانين العثمانيين عبد العزيز وعبد الحميد الثاني اللذين وظفا مصورين لكي يسجلـوا حياة المنـاطق التابعـة لهما، وملفات الصـور التي جمعاها معروفـة باسم «مجموعة يلديز» وقـد انتقلت إلى جامعة إسطنبول بعد أن أصبحت تركيا جمهورية. تقوم الجامعة ومركز الفـن والتاريـخ والثقـافة الإسـلامية في قصر «يلـديـز» حاليـا بتصنيف تلـك المجموعـة التي تشمـل ملفات عـديدة لصـور للحجاز، وقـد يلقى المزيـد من البحـث حول هـذه المجموعـة مزيدا مـن الضوء على التاريخ المبكـر للتصوير الفوتـوغرافي في شبه الجزيرة العربيـة. كان من دعاة التحديث أيضـاً الخديويون في مصر وهـم من سـلالـة محمد علي بـاشـا. أصبـح التصويـر الفـوتوغـرافي، بتشجيـع مـن العثمانيين والخديويين جـزءاً مـن التدريـب العسكري في الجيوش العثمانيـة والمصرية التي كانـت تخضع لعملية إعـادة تشكيل، وهكذا أتيح لنا أن نجد محمد صادق في الحجاز ومعه آلة التصوير.

عـاد محمد صـادق في عـام ١٢٩٨ (١٨٨٠م) إلى الحجاز مـع المحمـل المصري، ومرة أخـرى كانت معه آلـة التصوير، وقد تمكن من التقاط صـور فوتوغرافية لمكة المكـرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسـة، كما قابل بعثة عسكرية تركيـة مكونة من ستة ضباط كـان أحدهم مصوراً

بارعاً اسمه علي بيك. لم يكن محمد صادق يهدف في هذه الزيارة إلى استخدام آلة التصوير لأغراض دنيوية متعلقة بالمسح العسكري، وإنما كان هدفه كمسلم متمثلاً في تأليف سجل ديني توثيقي لأحد أركان الإسلام وهو الحج إلى بيت الله الحرام، وبالرغم من أنه لم يكن وحيداً في الرغبة في تحقيق ذلك الهدف، فإن دوافع بعض الآخرين الذين تبعوه كانت أغلب الظن بعيدة عن نبل هدف محمد صادق.

تزامن اختراع التصوير الفوتوغرافي مع مرحلة الاستكشاف والاستعمار الأوربي على نطاق العالم أجمع، وكان الانبهار بالشرق في أوج عظمته، وقد عبر فيكتور هيغو الأديب الفرنسي عن ذلك الانبهار في مقدمته لكتاب «الشرقيون Les Orientales» حيث كتب «لم يحدث قط أن استكشفت عقول عظيمة كثيرة، في نفس الوقت، الأعماق التي لا يمكن سبر غورها في آسيا». كان سبر غور تلك الأعماق ممكناً، وفقاً لاعتقاد البعض، عن طريق دراسة الإسلام، ولهذا بدأ العالم العربي، والذي هو بطبيعة الحال منطقة ذات أهمية سياسية وإستراتيجية عظمى، في جذب الاهتمام الأكاديمي.

كانت أعداد محدودة من الأوربيين قد قامت برحلات في الحجاز في بداية القرن الثالث عشر (النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) إلا أنها كانت حالات نادرة إذ لم يكن مسموحاً لغير المسلمين بالترحال خارج ميناءي جدة وينبع، وكانت أية محاولة لتفادي ذلك الحظر تستدعي التخفي وعدم حمل الأجهزة العلمية. كان من بين هؤلاء الرحالة المستشرق الألماني سيتزين Seetzen (١٢٢٤/ ١٨٠٩م)، يوهان بوركارت Johann Burckhard (١٢٣٠/ ١٨١٤م)، ليون روش Leon Roches (١٢٣١/ ١٨٤١م)، وريتشارد بيرتون (١٢٧٠/ ١٨٥٣م). تمكن في عام ١٣٠١ (الرابع والعشرين من أغسطس من عام ١٨٨٤م) أوربي من النزول في جدة وفي متاعه آلة تصوير، كان ذلك هو عالم الدراسات الإسلامية الهولندي الدكتور كريستان سنوك هورغرونيه، الذي كان قد اعتنق الإسلام وجاء بهدف أداء ورصد مناسك الحج، وكانت معرفته بالعربية والإسلام واسعة إلا أن تفاصيل إقامته في المنطقة جاءت شحيحة ومغرية بالتطلع إلى المزيد. نشر هورغرونيه ملفين منفصلين لصور من الحجاز في بداية القرن الرابع عشر (أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، وقد حوى الملف الأول مناظر لمكة المكرمة وصوراً شخصية لوجهاء المنطقة وكبار الحجيج. وكان تعليقه الوحيد على هذه الصور هو المنشور في مقدمة النص المصاحب، نسب فيه اثنتين من الصور إلى محمد صادق، والبقية إلى نفسه ولعربي آخر لم يذكر له اسماً قام هورغرونيه بتعليمه التصوير الفوتوغرافي. أما الملف الثاني فأغلب الظن أنه من أعمال المصور العربي المجهول الهوية، وقد تحقق فيه ما نشده هورغرونيه دون التمكّن من إنجازه، من تسجيل لمناسك الحج بالصور الفوتوغرافية. أوضح هورغرونيه في مقدمته للملف الثاني أنه ما أن أكمل كتابه الأول حول مكة المكرمة ألا وتلقى صوراً جديدة من المصور العربي، الذي صار يشير إليه كطبيب مكي، وما زالت الهوية الحقيقية لذلك الطبيب مجهولة ولكن من الجدير بالنظر أن نلاحظ أن بعض صوره حملت نفس التوقيع الذي اعتمده هورغرونيه نفسه وهو «السيد عبد الغفار» (أنظر صفحتي ٢٨ و ٢٩).

لم يكن التصوير الفوتوغرافي متوقفا في الفترة ما بين أولى زيارتي محمد صادق إلى غرب الجزيرة العربية حتى ظهور ملفي هورغرونيه، فقد شهدت تلك الفترة التأسيس الناجح للاستوديوهات التجارية في البلدان والمدن من دمشق إلى دلهي، وبالرغم من أنه ليس ثمة دليل على وجود مصورين مقيمين في الحجاز في تلك الفترة، فإن جدة قد جرى تصويرها بمصور تجاري واحد على الأقل هو إل. فيوريلو L. Fiorillo الذي كان قد جعل من الإسكندرية منطلقاً له. ويبدو أنه فضل اعتماد النمط التوثيقي حيال موضوعاته (أنظر يسار صفحة ٤٤).



**الدكتور كريستان سنوك هورغرونيه (عبد الغفار) (١٢٧٤-١٣٥٥/١٨٥٧-١٩٣٦م). أقام في جدة ضيفا على القنصل الهولندي قبل توجهه إلى مكة المكرمة التي بلغها في عام ١٣٠٢ (يونيه ١٨٨٥م)، وقد بقي بمكة ستة أشهر يخطط لتوثيق الحج قبل أن تقوم السلطات العثمانية بإبعاده.**

طرحت ممارسة التصوير بطريقة الكولديون المبتل بعض المشكلات أمام الراغبين في الخروج من حدود جدران الاستوديوهات إلى العمل المتنقل، إذ أن ضرورات تظهير الألواح ومعالجتها فور إنتاجها كان يستدعي حمل جميع المعدات الأساسية أثناء التنقل. جرت تجارب لتبسيط تلك الإجراءات خلال ثمانينيات القرن الثالث عشر (ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي) دون نجاح، إلا أن طبيباً لندنياً اسمه آر. إل. مادوكس R.L.Maddox نشر في عام ١٢٨٨ (١٨٧١م) نتائج تجارب أجراها على استخدام الجلاتين كحامل للمواد ذات الحساسية تجاه الضوء، وكان يمكن استخدام المحلول الجديد، بعد تجمده وجفافه، لفترة من الوقت بعد تحضيره، وقد جعل ذلك الإنتاج التجاري للألواح الفوتوغرافية ممكناً عملياً. لم يعد من الضروري، بحلول مطلع القرن الرابع عشر (ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، على المصورين إعداد موادهم الخاصة، فقد أصبح بالإمكان تعريض الألواح الجديدة إلى الضوء في غضون جزء من ثانية واحدة عوضاً عن دقائق عدة، وأصبحت متداولة آلات تصوير جديدة أصغر حجماً وأسهل نقلاً مقارنة مع آلات تصوير الألواح المبتلة القديمة، وكانت تلك الآلات صغيرة على نحو يسمح بنقلها بدون لفت الانتباه.

أدى ظهور آلات التصوير الأصغر حجماً وإجراءات المعالجة الأبسط إلى انتشار الصحافة

**غيرترود بيل (١٢٨٥-١٣٤٥/١٨٦٨-١٩٢٦م). أقامت في حائل لعشرة أيام في عام ١٣٣٢ (في فبراير - مارس من عام ١٩١٤م). كانت أول الأمر محتجزة في حجرة في القصر، ثم سمح لها في الأيام القليلة الأخيرة باستكشاف المدينة وتصوير ما تشاء.**



**معدات تصوير فوتوغرافي للهواة تشمل آلة تصوير كوداك من طراز أوتوغرافيك فيست بوكيت بعلبتها ومتعلقاتها، حوالي عام ١٣٣٩ (١٩٢٠م). نالت مثل هذه الآلة شعبية خلال الحرب العالمية الأولى، وكان يحملها الجنود والضباط الذين جاءوا إلى سواحل الحجاز عام ١٣٣٦ (١٩١٧م) للمشاركة في عمليات عسكرية ضد العثمانيين.**



**آلة تصوير حقلية قابلة للطي مصنوعة بالكامل من الخشب بواسطة أوتويل Ottewill، ولها عدسات من طراز كارت دي فيزيت Carte de Visite (١٢٧٠/١٨٥٣م). كانت مثل هذه الآلة مستخدمة أيام عملية المسح التي قام بها العقيد محمد صادق.**

**أسفل: اللواء إبراهيم رفعت الذي تعلم التصوير الفوتوغرافي حوالي عام ١٣٢٠ (١٩٠٢م). كان من بين الصور التي تبلغ نحو الأربعمائة والتي نشرها في كتابه مرآة الحرمين (القاهرة ١٣٤٤/١٩٢٥م) بعض الصور التي التقطها مصورون مصريون آخرون مثل محمد علي سعودي وخليل أفندي القازاني وأحمد صابر.**



التصويرية، وقد أتيح في عام ١٣١٢ (١٨٩٤م) لأحد روادها وهوجول غيرفي كورتاليمونت Jules Gervais-Courtellemont التقاط صور في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة تم تحويلها لاحقاً إلى صور توضيحية لكتابه المسمى «رحلتي إلى مكة *Mon voyage à la Mecque*». كان قد صحبه مرافق جزائري في رحلته التي وجدت دعماً من وزارة الخارجية الفرنسية، التي كان لها اهتمام بمعرفة المزيد عن الوضع السياسي والتجاري في غرب شبه الجزيرة العربية، وقد زودته الوزارة في سعيها وراء ذلك الهدف بوثائق مزورة كان من ضمنها جواز سفر. وهكذا وصل إلى جدة متقمصاً شخصية عبد الله، الطبيب الجزائري الذي يزور البلاد في مهمة علمية، حاملاً آلة تصوير من طراز فوتوجونيل "Photo Junelle" (تستخدم صفائح مقاس ١٨×١٣سم) مخفية تحت سجادة حملها مدلاة فوق كتفه، حيث أنه كان يدرك أنه إذا انكشف أمر مهمته فإنه لن يتمكن من العيش ليروي حكايته.

وجد التصوير الفوتوغرافي مع مطلع العقد الثاني من القرن الرابع عشر (بداية القرن العشرين الميلادي) مزيداً من السبل إلى الحجاز وذلك من خلال المصورين المسلمين وعلى رأسهم الضابط المصري اللواء إبراهيم رفعت والذي قام بالتصوير في مكة المكرمة والمدينة المنورة في الأعوام ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٦ (١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨م) حين كان يقوم بمهام رسمية عديدة تتصل بالحج (أنظر ص ٣٣، ٣٦-٣٩). كان اللواء إبراهيم رفعت قد قام قبلاً بزيارة مكة المكرمة خلال موسم الحج في عام ١٣١٩ (١٩٠١م)، وأدت به حسرته نتيجة عدم تمكنه من تسجيل المناظر الباهرة التي شاهدها إلى تعلم تقنيات التصوير. ومن المعروف أنه استخدم آلتي تصوير على أقل تقدير، تستخدمان صفائح مقاسها ١٨×١٣ سم و١٢×٩ سم. كان هدفه الأساسي متمثلاً في تقديم توثيق ديني، مثل سلفه محمد صادق، إلا أنه شرع أيضاً في التفكير في استخدام التصوير الفوتوغرافي كوسيلة مساعدة في نيل المعرفة، حيث قام بدراسات فوتوغرافية عن أعمال الخط العربي المكتوبة على المحمل وعلى الأبواب الخشبية المشغولة بالحفر في بيوت مكة القديمة، وذلك من أجل الفن المعماري. التقى رفعت خلال زياراته بمسئولين مصريين آخرين كانوا يهتمون بالتصوير الفوتوغرافي، وقد نشر طرفاً من أعمالهم مع أعماله.



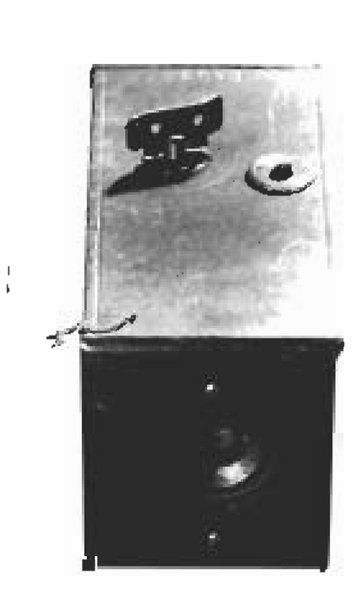
**النقيب وليام شكسبير (١٢٩٥-١٣٣٤/١٨٧٨-١٩١٥م). قام بست رحلات استكشافية في شرق ووسط شبه الجزيرة العربية بين عام ١٣٢٣/١٩٠٥م، ووفاته في جراب في عام ١٣٣٤/١٩١٥م. التقط في الكويت في عام ١٣٢٨/١٩١٠م أولى الصور المعروفة للملك عبد العزيز آل سعود.**

عام ١٣٢٦ (خريف عام ١٩٠٨م) للتصوير في الحجاز ولكنه لم يأت متخفياً هذه المرة وإنما جاء بدعوة من السلطان عبد الحميد لتصوير افتتاح خط سكة حديد الحجاز الممتد من دمشق إلى المدينة المنورة والذي كان قد تم تشييده، كما أعلن على نطاق واسع، بهدف تسهيل حركة الحجيج في موسم الحج. وقد سجل تلك المناسبة مصورون مسيحيون آخرون بينهم الأرمني جيه. أتش. هالاجيان J. H. Hallajian والذي جاء من الاستوديو الخاص به في فلسطين وقضى عدة أشهر في المنطقة يلتقط الصور لمكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك للمحطات والمباني الأخرى المتصلة بالخط الجديد. (أنظر ص ٣٦، ٤٠، ٤١-٤٣).

لم يكن مشروع السكة الحديدية محض لمحة أريحية من السلطان العثماني إلى رعيته من المسلمين فحسب، إذ أنه كان مهماً عملياً واستراتيجياً، كما كان عاملاً رئيسياً في محاولات السلطان عبد الحميد لتعزيز موقفه في الداخل والخارج. فبالنسبة للسلطان العثماني كان للإكمال الناجح لخط السكة الحديدية أثران مزدوجان، وإن كانا مؤقتين، تمثلا في استنفار دعم المسلمين عبر العالم، وفي نفس الوقت مد النفوذ العثماني إلى غرب شبه الجزيرة العربية. على أن خط السكة الحديدة الجديد جاء بأكثر مما توقعه السلطان عبد الحميد، حيث أنه حمل أفكاراً تدعو إلى استقلال العرب، وذلك من مدن عربية كبرى مثل دمشق وبيروت، كما أنه حمل أيضاً أوربيين جاءوا يلتمسون معلومات حول منطقة اكتسبت شؤونها فجأة أهمية جديدة بعد أن أنذر الأفول الواضح والمستمر للإمبراطورية العثمانية بنظام عالمي جديد.

شـرعت في نفس الفترة شركة تصوير تجارية هندية هي أتش أيه ميرزا وأولاده - دلهي، في إنتاج نسخ مصورة جيدة لمواقع مناسك الحج. (أنظر ص ٢٩-٣١، ٣٤، ٣٥)، وقد كانت تلك الصور، على أغلب الظن، معروضة للبيع في جدة ومكة المكرمة كتذكارات عن الحج، وذلك افتراض أيده إتش. أيه. وافيل H. A. Wavell الذي لاحظ في كتابه «حاج حديث في مكة « A Modern Pilgrim in Mecca » (١٣٣١، ١٩١٢م) أن صور مكة والمدينة الواردة في الكتاب كان قد تم ابتياعها من مكتبة من مكتبات مكة تقع على الشارع المؤدي إلى المسجد الحرام.

عاد جول غيرفي كورتاليمونت في



**كوداك رقم ١، آلة التصوير التي طورها جورج إيستمان عام ١٣٠٦ (١٨٨٨م)، والتي تستخدم لفة فيلم ورقي يمكن المستخدم من التقاط العديد من الصور دون الحاجة إلى إعادة تعبئة الآلة كل مرة. كان لخفة حمل هذه الآلة وسهولة استخدامها أن أصبحت جذابة للرحالة والمسافرين.**

جاء العديد من الأوربيين بأحدث الطرز من آلات التصوير الجديدة والقابلة للحمل بسهولة والمبنية على آلة كوداك رقم ١، آلة التصوير المتطورة الأصلية التي طورها جورج إيستمان George Eastman عام ١٣٠٦ (١٨٨٨م). صحب آلة التصوير هذه تصميم جديد لوسيلة جديدة تمثلت في فيلم الورق الملفوف الذي يتيح التقاط سلسلة من الصور دون الحاجة لإعادة التعبئة في كل مرة، فحين انتهاء الفيلم كان على المصور أن يقوم بإعادة آلة التصوير فحسب إلى مصنع إيستمان حيث تتم معالجة وطباعة الفلم، كما تتم إعادة تعبئة آلة التصوير وإرجاعها إلى المصور لاستخدامها مجدداً. لقد سجلت آلة كوداك رقم ١ نقطة تحول حقيقية في تاريخ التصوير الفوتوغرافي حيث أنها فصلت عملية التقاط الصور عن عملية معالجتها وطباعتها، مما مكّن الكثيرين، مهما كانت مهارتهم وإمكانياتهم، من التقاط صور فوتوغرافية مقبولة، وعلى الرغم من أن آلة تصوير إيستمان الأصلية قد جرى تطويرها عبر عقود متتالية من الزمن، فلم يعد هنالك الآن مجال لتغييرات رئيسية على الأسس التي قام عليها التصوير الفوتوغرافي.

جاء الجيل الجديد من المصورين الأوربيين إلى شبه الجزيرة العربية بأدوار شتى ومن أجل اهتمامات ومصالح مختلفة، وكان معظمهم يهدفون إلى الوصول إلى أصقاع أجزائها الداخلية. كان بعض هؤلاء، مثل جاوسين وسافيناك من علماء الآثار وكانوا أعضاءً في البعثة الآثارية إلى شبه الجزيرة العربية *Mission archéologique en Arabie*، وكان بعضهم مثل دوجلاس كاروثيرز من علماء الطبيعة، فيما كان الآخرون رحالة أومعدي خرائط، إلا أنه كان هناك أيضاً موظفوحكومات جرى إرسالهم لجمع المعلومات الإستخبارية، وفي الواقع أن العديد من أولئك المصورين كانوا مزدوجي الاهتمامات. كان علماء الآثار أول من أدرك قيمة الصورة الفوتوغرافية كأداة تسجيلية ومنذ السبعينيات من القرن الثالث عشر (خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، بدأت بعثات التنقيب عن الآثار تضم بين صفوفها مصورا.



**ويلفريد ثيسيغر، آخر أعظم مستكشفي شبه الجزيرة العربية، وقد عبر الربع الخالي مرتين عامي ١٣٦٦ و١٣٦٨ (١٩٤٦ و١٩٤٨م). قام ثيسيغر برحلات أخرى ليست مشهورة عبر نجد وعسير خلال إقامته في شبه الجزيرة العربية من عام ١٣٦٥ إلى ١٣٧٩ (١٩٤٥-١٩٥٠) (ثيسيغر).**

كان للقلة التي نجحت في السفر إلى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية وفي تصويرها أن أسرَتها، في أحيان عديدة، الحياة التقليدية في الصحراء وفي مدنها التي ظلت لزمن طويل بعيدة عن كل تأثر بالهوس الأوروبي السائد حول التحديث والتقدم. برز من بين هؤلاء بريطانية وبريطاني، المستشرقة وعالمة الآثار غيرترود بيل، والضابط السياسي البريطاني في الكويت النقيب وليام شكسبير، وكانا قد أصبحا مصورين متمرسين من خلال خبرتهما السابقة في الآثار وفي الجيش، وقد استخدم كل منهما آلة التصوير البانورامية لالتقاط مناظر لمعالم الصحراء الشاسعة، كما استخدما آلات التصوير الصغيرة لالتقاط صور من أجل دراساتهم عن حياة البدو والحضر. قام كل منهما برحلاته الرئيسية في شبه الجزيرة العربية في العام الذي سبق نشوب الحرب العالمية الأولى، على أن نقطتي انطلاقهما كانتا على طرفين متقابلين من أطراف شبه الجزيرة العربية.

بدأت غيرترود بيل رحلتها من دمشق في عام ١٣٣٢ (١٦/ ١٢/ ١٩١٣م) وقد تمكنت بعد مرور نحو من شهرين من تحقيق رغبتها في عبور النفود، تلك الرغبة التي راودتها لأول مرة في تلك المدينة قبل ثلاثة عشر عاماً من ذلك الحين. كان هدفها الأول من تلك الرحلة وضع سجل علمي تفصيلي لكل المواقع الأثرية التي قد تصادفها، وقد بلغ بها الأمر أن ركبت عائدة أدراجها مسيرة يوم كامل عبر جبل طبيق حتى تصور طللاً رأته في اليوم السابق. وصلت غيرترود بيل إلى حائل، عاصمة ابن رشيد في عام ١٣٣٢ (فبراير عام ١٩١٤)، أي نفس الشهر الذي شهد تحرك النقيب شكسبير من الكويت إلى الرياض عاصمة الأمير عبد العزيز آل سعود، والتي كان ينوي السفر منها في اتجاه الشمال الغربي إلى العقبة.

كان شكسبير مصوراً متحمساً إلى أبعد حد وقد دأب خلال رحلته عام ١٣٣٢ (١٩١٤م) على قضاء أمسياته في خيمته يعالج أفلامه ويظهرها مستعيناً بإناء تظهير جديد أدخلته كوداك عام ١٣٢٣ ( ١٩٠٥م). لم يكن مثل ذلك العمل يسيراً في الظروف المناخية القاسية للمناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، وقد حفلت مفكرة شكسبير بإشارات إلى الصعوبات التي واجهته، فقد كانت الأفلام تصبح مادة لزجة بفعل الحرارة وكان الماء اللازم لإناء التظهير، في أحيان كثيرة، أدفأ مما ينبغي أو مالحاً، أومختلطاً بذرات الرمل، أو لا يمكن الحصول عليه في أي مكان.

لم تحاول غيرترود بيل تظهير أفلامها بنفسها، إلا أن ذلك لا يعني أنها كانت مصورة فوتوغرافية أقل حماساً، فقد تعلمت تقنيات الضوء الومضي من علماء الآثار الألمان الذين قابلتهم في قلعة شرقاط في عام ١٣٢٩ (١٩١١م)، واستخدمت تلك التقنيات في حائل. تركت غيرترود بيل وراءها أكثر من ستة آلاف صورة سواءً مطبوعة أو في أفلام وذلك في إطار بحوثها العلمية حول تاريخ الشرق الأدنى في العهود القديمة والوسطى. كانت آلة التصوير بالنسبة لها، قبل أي شيء، أداة أساسية في عملها المتصل بالآثار، وبالرغم من ذلك فقد



**هاري سان جون فيلبي (عبد الله) (١٣٠٣-١٣٨٠/ ١٨٨٥-١٩٦٠م). كرس معظم حياته لتوثيق تاريخ المملكة العربية السعودية، وقد تعلم التصوير الفوتوغرافي في البصرة خلال الحرب العالمية الأولى. عبر الربع الخالي في عام ١٣٥١ (١٩٣٢م). كان أكثر مصوري المملكة العربية السعودية وفرة في الإنتاج، خاصة بعد اعتناقه الإسلام في عام ١٣٤٩ (١٩٣٠م). (فيلبي ١٣٥١/١٩٣٢م)**

تمتعت باستعمالها لتصوير الناس الذين قابلتهم ورأت أن آلة التصوير بمثابة «أوراق اعتماد عالمية في مناطق مجهولة». يمكن اعتبار العديد من الصور التي التقطتها غيرترود بيل أو التي التقطها شكسبير من اللقطات الفوتوغرافية العادية، ومع ذلك فقد كانت الصور الأخرى متناسقة وحساسة للغاية بالأهمية التاريخية للمناظر والأحداث التي كانت من أولى ما تم توثيقه على أفلام تصوير فوتوغرافية.

شهدت مهنة التصوير الفوتوغرافي ازدهاراً عندما نشبت الحرب في أوربا، بلغ أوجه في عام ١٣٣٦ (١٩١٧م)، وكان الجنود يشترون آلات التصوير ليحملوها معهم رغم أن حيازتها أثناء المشاركة في عمليات قتالية على الجبهات الأمامية كانت تعتبر جريمة تستدعي المحاكمة العسكرية والحكم بالإعدام في بعض الحالات. كانت أكثر آلات التصوير شيوعاً آلة «فيست بوكيت كوداك Vest Pocket Kodak»، أوآلة الجيب نظراً لصغر حجمها وسهولة إخفائها، وكانت الشركة تعلن عنها في الدعاية التجارية باسم «كوداك الجندي Soldier's Kodak». جاء بآلات التصوير هذه إلى مدن الحجاز الساحلية عام ١٣٣٦، جنود القوات البريطانية الذين كانوا وقتها يشاركون في عمليات عسكرية ساحلية ضد الأتراك. كان يحمل هذه الآلات أيضاً ضباط المخابرات مثل تي أي لورانس وهاري سان جون فيلبي، وهما ممن جرى تجنيدهم للعمل في شبه الجزيرة العربية منذ بداية الحرب بسبب معرفتهم الوثيقة بلغات المنطقة وتاريخها وعاداتها، تلك المعرفة التي اكتسبها لورانس من خلال العمل في مجال التنقيب عن الآثار، وبالنسبة لفيلبي من خلال العمل في الخدمة المدنية في الهند. شرع كل من لورانس وفيلبي، مثلما كان الحال بالنسبة لغيرترود بيل وشكسبير قبلهما، في توثيقهم التصويري الشامل وهما على طرفين متقابلين من أطراف شبه الجزيرة العربية، حيث تم توظيف لورانس للعمل ضمن حملة الحجاز، أما فيلبي فقد جرى إرساله إلى الرياض عن طريق الهفوف في إطار البعثة البريطانية إلى المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية.

أصبحت تلك المهمة، في حالة فيلبي،خاصة بعد اعتناقه الإسلام وتسمِّيه باسم عبد الله في عام ١٣٤٩ (١٩٣٠م)، بداية ارتباط عمر بالمملكة العربية السعودية والتي قام بجهد لتوثيق مراحل تأسيسها خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي (عشرينيات وثلاثينيات القرن الميلادي الحالي) من خلال مذكراته وصوره الفوتوغرافية. كانت تلك فترة الدبلوماسيين الأوربيين ورجال النفط الأمريكيين وقد كشفت الصور التي التقطوها النقاب عن مجتمع تقليدي في مرحلة تحول. كما كانت تلك الفترة أيضاً، عهد المزيد من الاستكشاف الأوروبي حيث توغل رحالة لا يعرفون التعب، مثل روزيتا فوربز Rosita Forbes وبيرترام توماس Bertram Thomas وفيلبي، إلى مدى أبعد مما مضى، لتوثيق مناطق لم تكن مستكشفة حتى ذلك الوقت مثل عسير وصحراء الربع الخالي.

كانت المملكة العربية السعودية، قبيل الحرب العالمية الثانية، على أعتاب ثورة اقتصادية، وعند وفاة الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٧٣ (١٩٥٣م) كانت المملكة تشهد تحولاً كبيراً.

لقد تطلع عديدون إلى اندفاع عجلة التقدم وإلى ثقافة استيعابية عالمية، فيما انتاب الآخرون، أمثال الرحالة والمصور البريطاني ولفريد ثيسيغر Wilfred Thesiger إحساس بالفقد. قام ثيسيغر بعبور الربع الخالي مرتين بين عامي ١٣٦٦ و ١٣٦٨ (١٩٤٦ و ١٩٤٩م) حيث التقط مجموعة مذهلة من الصور بآلة تصوير من طراز «لايكا ٢ Leica II» كان قد حصل عليها في عام ١٣٥٣ (١٩٣٤م). كانت رحلته تلك إيذاناً بمرور ما يقرب من قرن من الزمان على دخول التصوير الفوتوغرافي إلى الجزيرة العربية، وقد كان مدركاً، مثل سابقيه للأهمية الفريدة للمصور الفوتوغرافي في تسجيل مواقع ونمط حياة كان سائداً لأكثر من ألف عام، ليأخذ طريقه إلى الاندراس.

# المصـــــــــــــورون

## شكر وتقدير

لقد بذلنا كل ما بوسعنا من جهد للتعرف على أصحاب حقوق نشر ما يتضمنه الكتاب من مواد والاتصال بهم. إن مؤلفي هذا الكتاب وناشره يسجلون شكرهم وتقديرهم للمصادر التالية التي وفرت الصور الفوتوغرافية.

(س = يسار، م = يمين، ع = أعلى، ف = أسفل، و = وسط)

Ilo Battigelli ١٥و، ٩٤، ٩٧، ١٠٣، ١٠٢، ١٠٢ف م، ١٠٢ف س، ١٠٦

G. Bell (Gertrude Bell Photographic Archive, University of Newcastle upon Tyne) ٢٠م، ٧٥، ٧٦ع٧٦ف، ٧٧، ٧٨، ٧٩م، ٧٩س، ٨٠ع، ٨٠ف، ٨١، ٨٣، ٨٥م

J.D. Campbell (Royal Engineers Library, Chatham) ٥٢ع

D. Carruthers (Private collection) ٢—٣، ١٠، ١٧، ٨٥س، ٨٦—٨٧

R.E. Cheesman (RGS) ٩٥ع

Dr F.G. Clemow (RGS) ٤٤، ٤٥م

Sir Percy Cox (RGS) ١، ١٠٢ع س

L. Fiorillo (RGS) ٤٥س

R. Forbes (see R. McGrath)

A. Forder, W.N. Hartshorn, *Ventures among the Arabs* ١١، ١٢

G. de Gaury (RGS) ١٥و، ٤٩، ٥٨ف، ٥٩ف، ٦٦ع

Goslett (IWM, Lawrence Collection) ٥٢ف

J.H.Hallajian (IWM) ٣٧ف، ٤٠ع، ٤١، ٤٢، ٤٣

Major A.L. Holt (RGS) ١٣ف، ٨٤، ٨٨ع م، ٨٨ع س، ٩١

C.S. Hurgronje/'Abd al-Ghaffar (RGS) الغـــلاف الأمامي ع س ١٩، ٢٨ع، ٢٩

Jaussen & Savignac, *Mission Archéologique en Arabie* ٩٠ع

T.E. Lawrence (Courtauld Institute) الغلاف الأمامي ف س ٤٧، ٥٤، (IWM) ١٥م، ٥٣م، ٥٥س

Capt G.E. Leachman (The Trustees of The Royal Sussex Regiment Museum) ١١س، (RGS) ٦٩ع

R. McGrath (RGS) ١١٤ف، ١١٤ع

Lieut. Col. F.R. Maunsell (RGS) ٤٠ف

N. Mayers (see Tweedy)

H.A. Mirza (By permission of The British Library) ٢٨ف، ٣٤، ٣٥، (IWM) ٣٠, ٣١

L. Naretti & C.P. Devey (RGS) ٥٤ع

F. Ohliger (Private collection) ٥٠ع س، ٥٠ع م، ٥٠ف، ٥١

H.St.J.B. Philby (RGS) الغـــلاف الأمامي ع م، ٤—٥، ١٦، ٢٢ف، ٤٦س، ٥٤ف، ٦٨م، ٩٦، ٩٩ع م، ١١٥، ١١٧ع، ١١٩ع، ١٢٠

Ernest Benn Ltd, *The Land of Midian* ٩٠ف

C. Raswan (see Carruthers), Little, Brown & Co. *Black Tents of Arabia* ١٤س

G. Rendel (RGS) الغـــلاف الأمامي ف م، الغلاف الخلفي، ١٤م، ٦٠، ٦١س، ٦١م، ٦٦ف، ٩٩ف م

Ibrahim Rifaat ٢٠ف س، ٣٢، ٣٦، ٣٧ع، ٣٨، ٣٩ *Mirat al-Haramayn*, Cairo, 1925

A. Rihani (Estate of Amin Rihani/*Illustrated London News*) ٥٨ع

The Royal Archives 1994 Her Majesty Queen Elizabeth II ٣٣

Col. Mohammed Sadiq (RGS) ٨، ٢٧ *Bulletin de la Société Royale de Géographie* d'Egypte, XVIII, vol. 8, 1932. pp. 29-45, ١٨ C.S. Hurgronje, *Bilder Atlas zu Mekka*, the Hague, 1889

Saudi Aramco, Dhahran ١٠١

Science & Society Picture Library, The Science Museum ٢٠ع س، ٢٠م، ٢١م

W.H.I. Shakespear (RGS) ٣١ع، ٥٧، ٥٩ع، ٦٩ف، ٨٢، ٨٨—٨٩ف، ٩٣ع، ٩٣ف

*Geographical Journal* vol.LIX no.5, p.325 ٢١ع

Max Steineke (Saudi Aramco) ١٤و، ٤٨، ٥٣ س، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٠٠، ١٠٢ع م

W. Thesiger (Curtis Brown on behalf of Wilfred Thesiger) ٢٢ع، ٧٠، ٧١ف م، ٧١ف س، ٧٢—٧٣، ٩٨، ٩٩ع س، ٩٩ف س، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣س، ١١٣ع م، ١١٣ف م، ١١٦، ١١٧ف، ١١٨، ١١٩ف، ١٢١، ١٢٢ع، ١٢٢ف، ١٢٣ع، ١٢٣ف، ١٢٤

Bertram Thomas (RGS) ٩، ١٠٤

O. Tweedy (MEC, SAC) ٤٦م

T.F. Walters (Saudi Aramco) ٦٧، ١٠٧

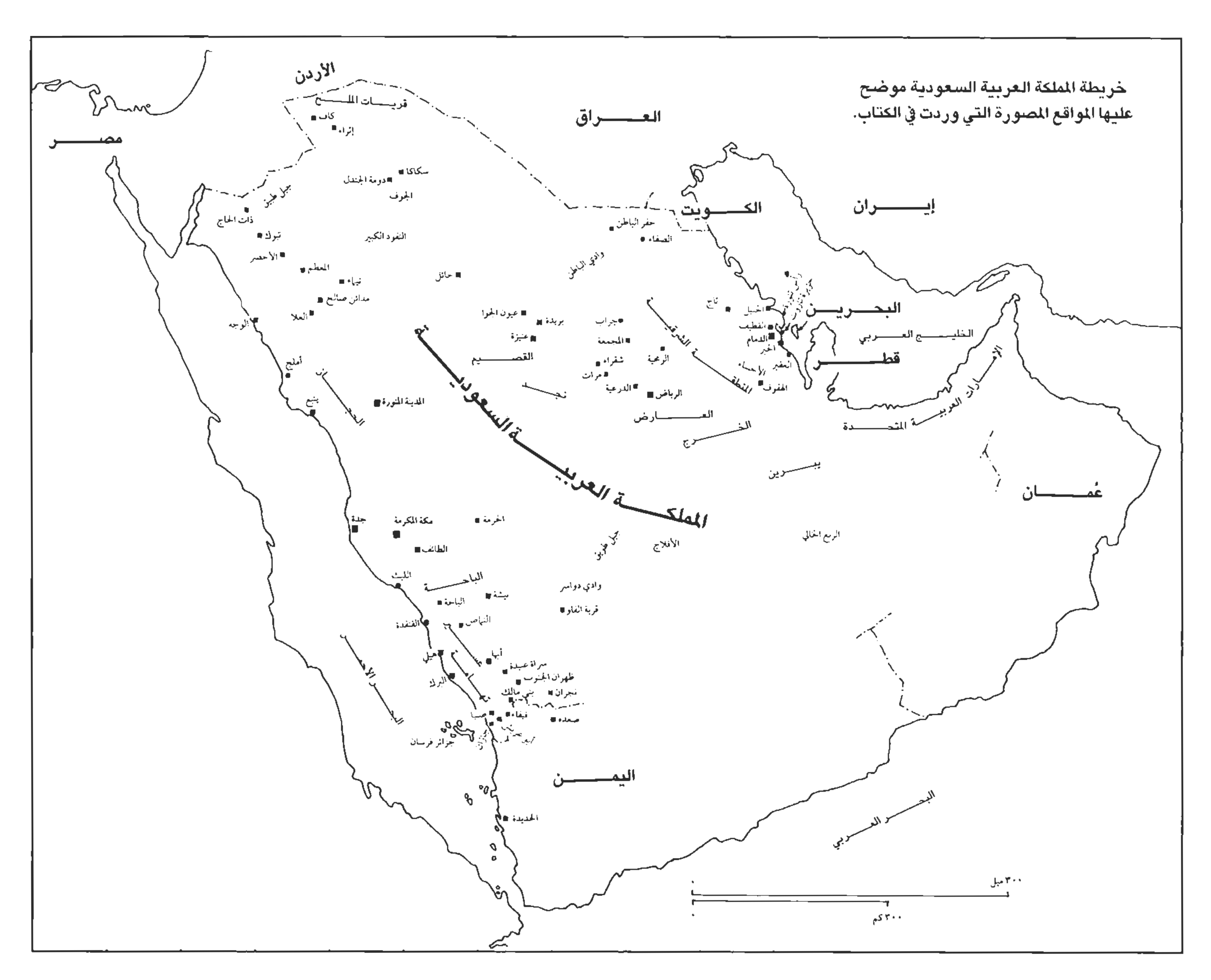
---

الاختصارات

IWM = The Imperial War Museum, London

MEC, SAC = The Middle East Centre, St Antony's College, Oxford

RGS = The Royal Geographical Society, London




خريطة المملكة العربية السعودية موضح عليها المواقع المصورة التي وردت في الكتاب.

# المنطقة الغربية

تشمل منطقة الحجاز السهل الساحلي وسلسلة الجبال في شمال غرب الجزيرة العربية، وتمثل تلك المنطقة الجغرافية الصعبة حاجزاً وعراً يحتوي على الرمال المتحركة والأودية المتآكلة والحمم البركانية القديمة التي غسلتها يد الزمن. تمثل الواحات القليلة في جبال الحجاز الواقعة جنوبي الطائف المناطق الأكثر احتواءً للحياة النباتية.

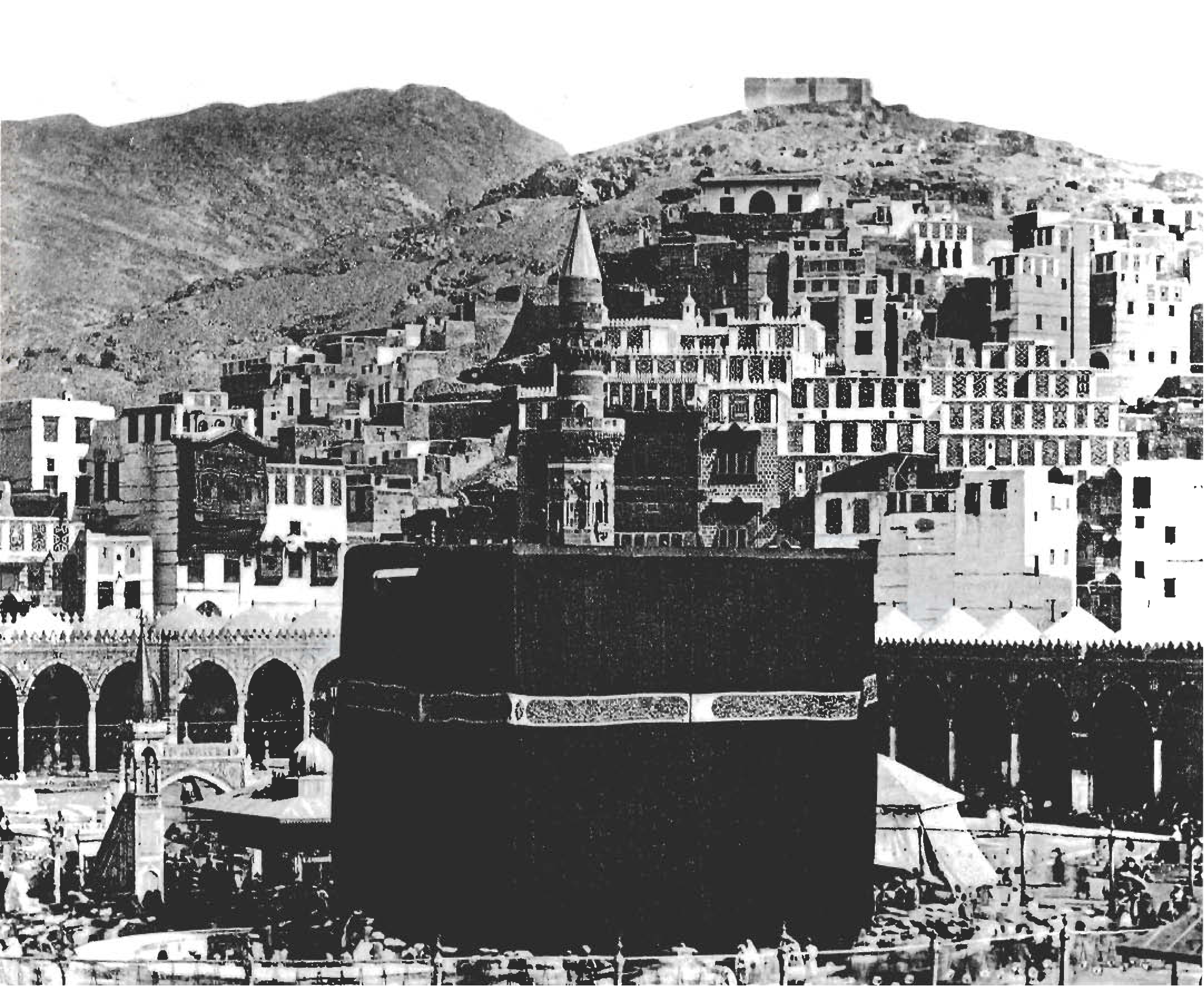
ظلت منطقة الحجاز متعرضة لتأثيرات من خارج شبه الجزيرة العربية أكثر من أي منطقة فيها، فما أن أنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ إلى العالم أجمع، في القرن السابع الميلادي، حتى أصبحت مكة والمدينة مقصداً للحجيج من كل فج عميق في العالم.

كان جميع ولاة الدول الإسلامية سواءً في دمشق أوبغداد أوالقاهرة أوإسطنبول، ومنذ القرون الأولى للإسلام، يسعون لتعزيز مكانتهم بحماية الحرمين الشريفين والعناية لهما، وبفرض سلطة، حتى ولو اسمية، على الحجاز، وقد ظل الحجاز لقرون عديدة تحت حكم أشراف مكة. كان يجرى توفير التسهيلات للحجيج، وتم إنشاء وحماية طرق للحج تمتد من بغداد والقاهرة ودمشق، وكان العديد من الحجيج يصلون بحراً إلى جدة وينبع، على أن القوافل السنوية كانت تنطلق من القاهرة ودمشق وبغداد تحيط بها هالات من الابتهاج وكان الحجاج المصريون يسلكون الطريق الموازي لساحل البحر الأحمر، فيما كان الحجاج الشاميون يتبعون طريقاً يمر عبر تبوك والعلا إلى المدينة المنورة، أما الحجاج العراقيون فكانوا يسلكون درب زبيدة الذي يعبر وسط شبه الجزيرة العربية عن طريق فيد والحناكية.

أوجد الحج تمازجاً سكانياً من شعوب العالم المختلفة في مكة المكرمة وجدة، وكان ذلك متبايناً إلى حد ما مع قبائل البدو التي كانت تسكن المناطق المحيطة، مثل حرب والبقوم، والتي كانت عادة ما تتنازع مع السلطة الحاكمة على السيطرة على طرق الحج، وإن كانت على استعداد أحياناً للتوقف عن اعتراض ونهب قوافل الحجيج مقابل بعض المال.

كانت المدينة المنورة شبيهة ببقية مدن شبه الجزيرة العربية، وقد جذب إليها كونها مهاجر رسول الله ﷺ ومثواه، ووجود مسجده الشريف بها، نصيبها من الزائرين، خصوصاً العائدين شمالاً من مكة المكرمة. كانت المدينة المنورة، واحة مزدهرة، بعكس مكة المكرمة التي كانت تتلقى إمداداتها من الطائف وجدة، وكان مرفأ ينبع الصغير منفذ المدينة المنورة إلى البحر الأحمر.

**الصفحة المقابلة: المسجد الحرام حوالي عام ١٢٩٨ (١٨٨٠م). التقط الصورة العقيد محمد صادق وظهرت أيضاً في أول ملف لهورغرونيه باسم المصور السوري سليمان حكيم، ولم يكن وقتها غريباً أن ينشر مصورون تجاريون بأسمائهم صوراً التقطها آخرون.**





**يسار: الجانب الغربي لوادي منى خلال الحج. نشر الصورة هورغرونيه ووقعها على النحو الموضح في الصورة المقابلة (هورغرونيه حوالي عام ١٣٠٧/١٨٨٩م).**

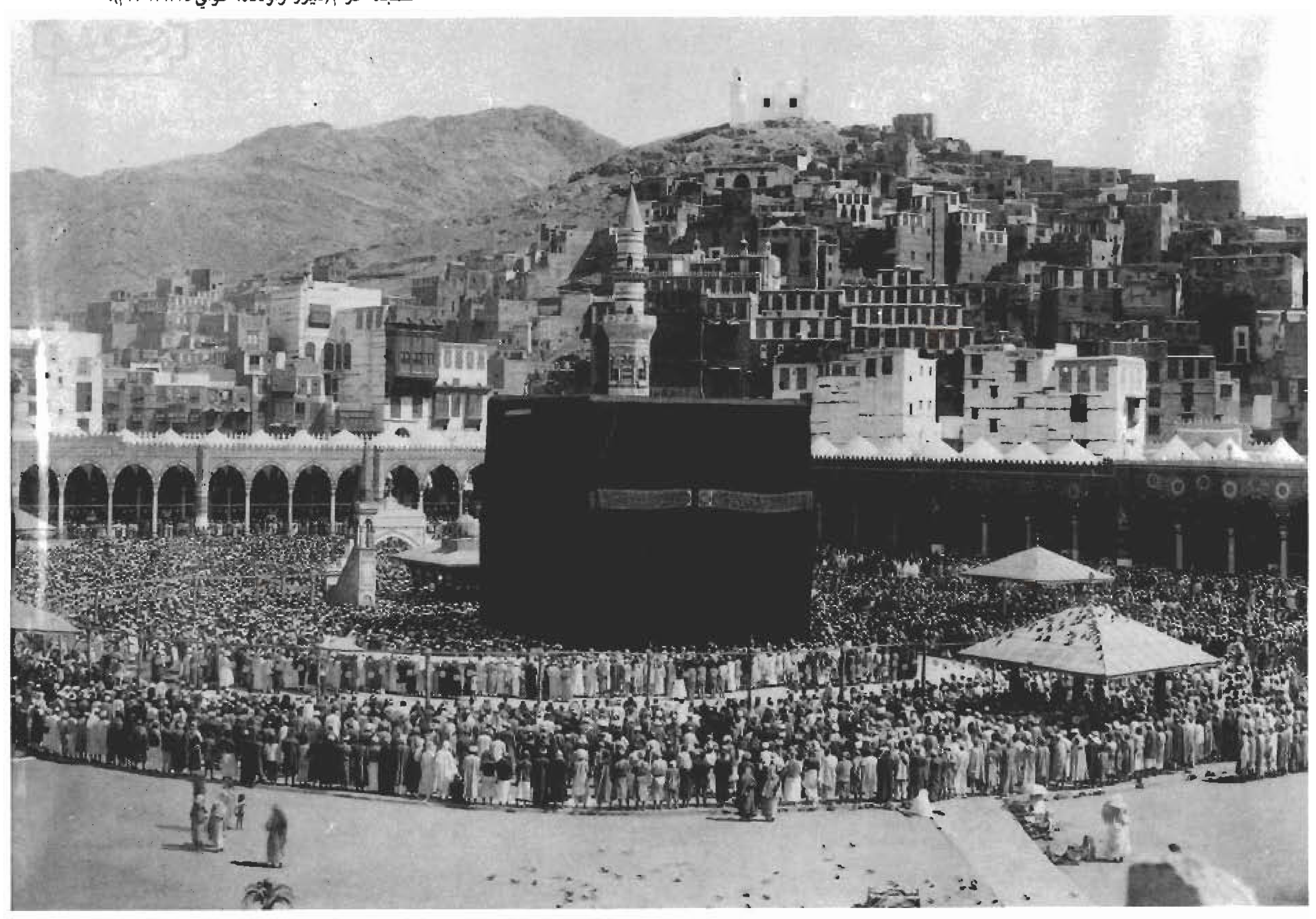
**أسفل: الوقوف بعرفات (ميرزا وأولاده).**

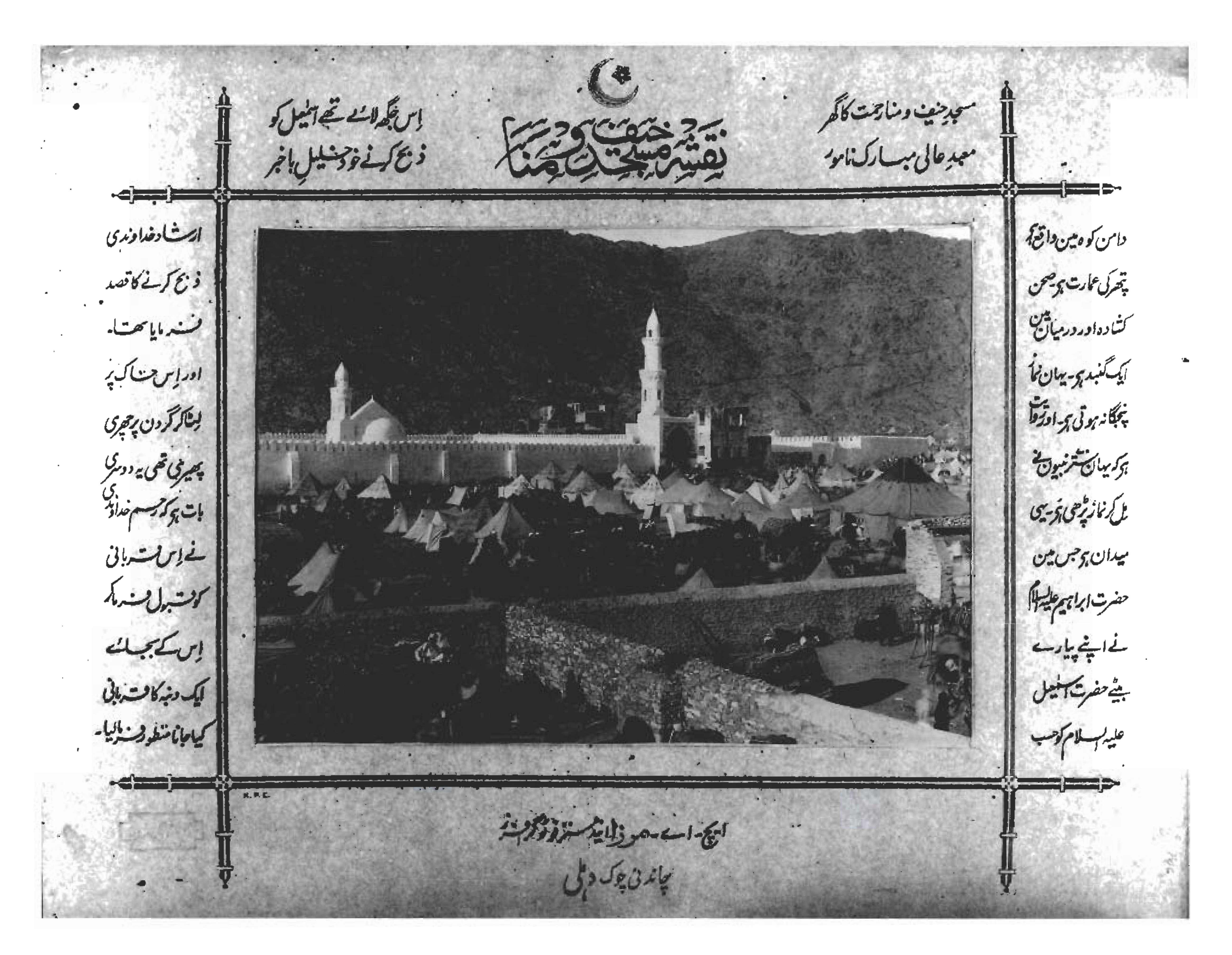
الصلاة حول الكعبة المشرفة، نشر الصورة هورغرونيه في عام ١٣٠٧ (١٨٨٩م) في كتابه صور من مكة المكرمة باسم السيد عبد الغفار طبيب بمكة .



الصفحة المقابلة: مسجد الخيف بمنى خلال موسم الحج (ميرزا وأولاده، حوالي ١٣٢٥/١٩٠٧م).

المسجد الحرام (ميرزا وأولاده، حوالي ١٣٢٥/١٩٠٧م).





نقشۂ مسجدِ خیف و منا
مسجدِ خیف و منا رحمت کا گھر
معبدِ عالی مبارک نامور
اس جگہ لائے تھے اسمٰعیل کو
ذبح کرنے خود خلیلِ باخبر
دامن کوہ مین واقع ہی
پتھر کی عمارت ہی صحن
کشادہ اور درمیان مین
ایک گنبد ہی۔ یہان نماز
پنجگانہ ہوتی ہی اور روایت
ہی کہ یہان ستر نبیون نے
مل کر نماز پڑھی ہی۔ یہی
میدان ہی جس مین
حضرت ابراہیم علیہ السلام
نے اپنے پیارے
بیٹے حضرت اسمٰعیل
علیہ السلام کو حسب
ارشاد خداوندی
ذبح کرنے کا قصد
فرمایا تھا۔
اور اس خاک پر
لٹاکر گردن پر چھری
پھیرنی تھی یہ دوسری
بات ہی کہ حسب خداوندی
نے اس قربانی
کو قبول فرماکر
اس کے بجائے
ایک دنبہ کا قربانی
کیا جانا منظور فرمالیا۔
ایچ۔ اے۔ مرزا اینڈ سنز فوٹوگرافرز
چاندنی چوک دہلی

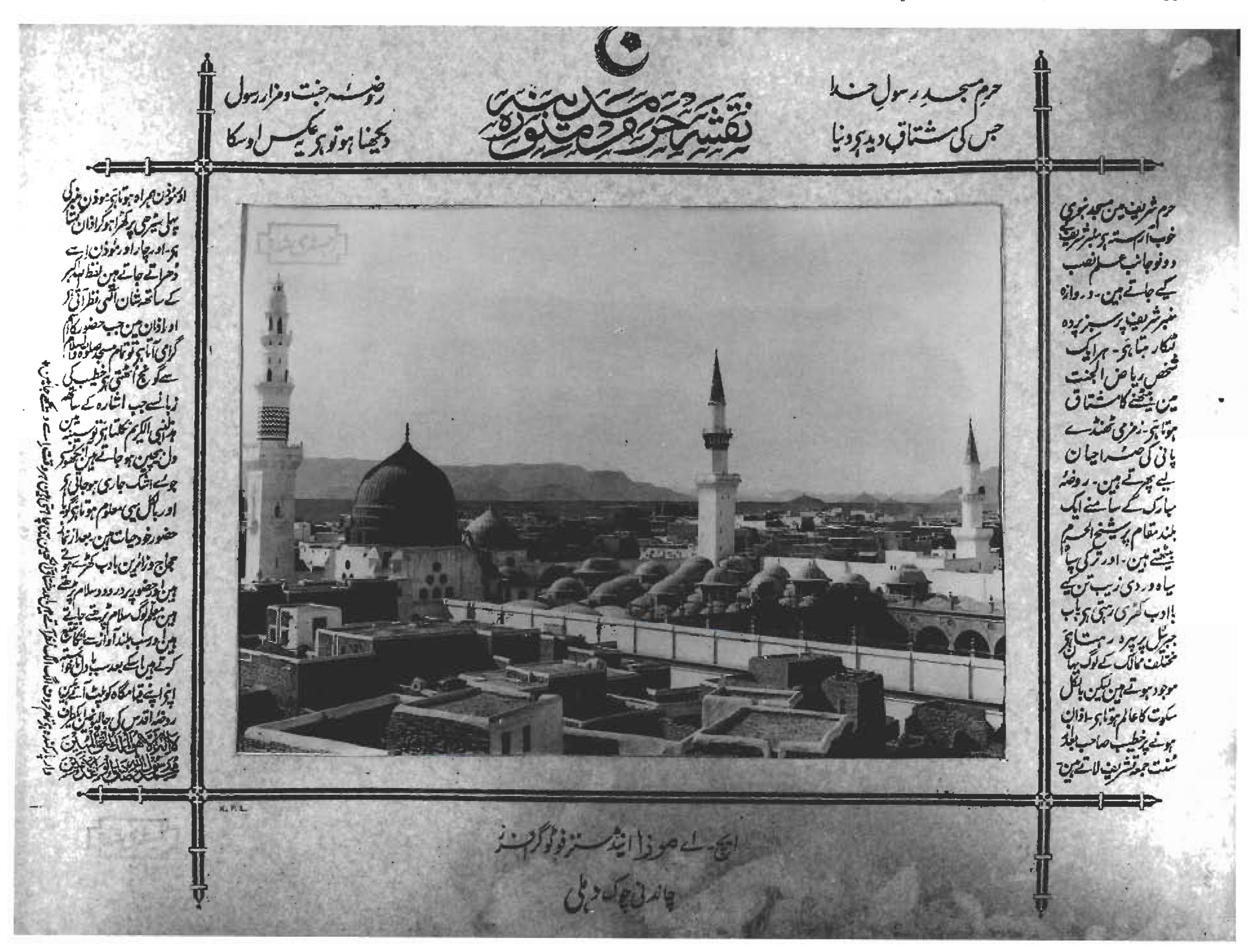
**الصفحة المقابلة: المحمل محمولاً عبر شوارع مكة المكرمة، التقط الصورة مصور مجهول الهوية وظهرت في ملف مصوَّر في ذكرى الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧/١٩١٤-١٩١٨م). والمحمل هودج مزخرف محمول على ظهر جمل وفيه كسوة الكعبة المشرفة يأتي من القاهرة ودمشق أيام الحج. بدأ ذلك التقليد في القرن السادس (الثالث عشر الميلادي)، وقد انتهت تلك العادة في العهد السعودي.**

**باب علي في المسجد الحرام، (إبراهيم رفعت الذي صور مكة المكرمة والمدينة المنورة في الأعوام ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٦ (١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨م).**

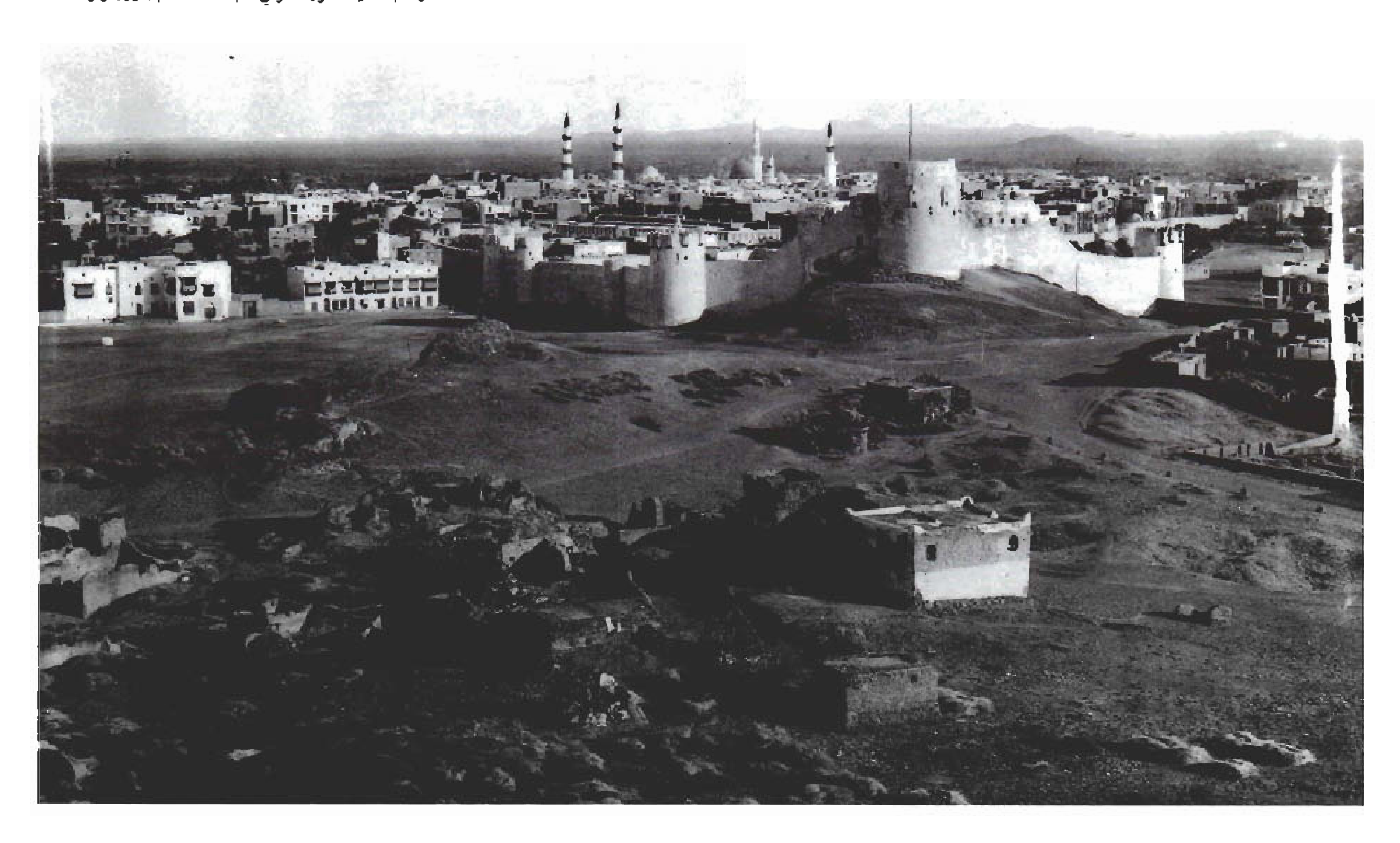




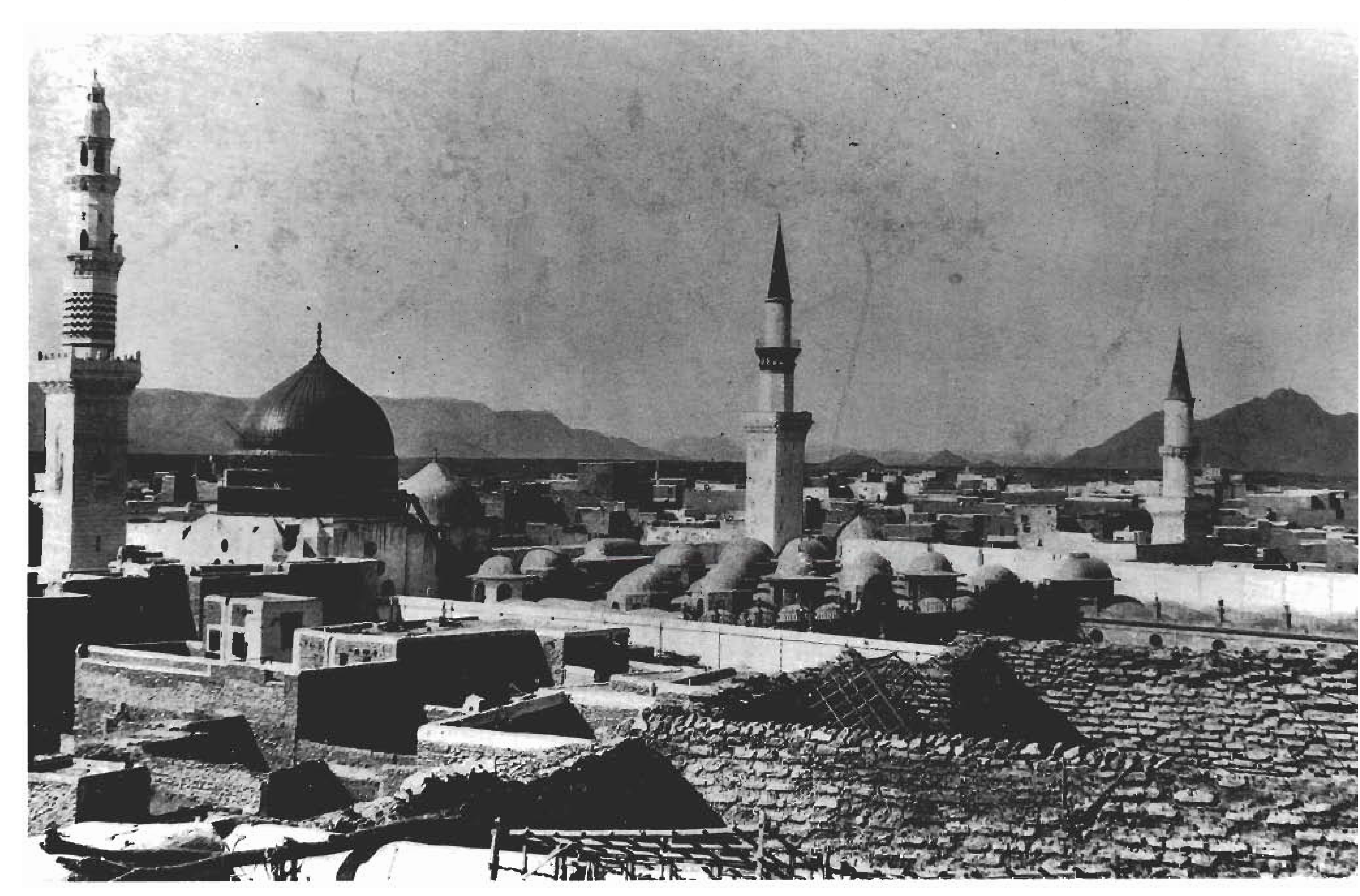
**المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة (ميرزا وأولاده، حوالي ١٣٢٥/١٩٠٧م).**



منظر عام للمدينة المنورة حوالي عام ١٣٢٥/١٩٠٧م (ميرزا وأولاده).



**المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١، ١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨م).**



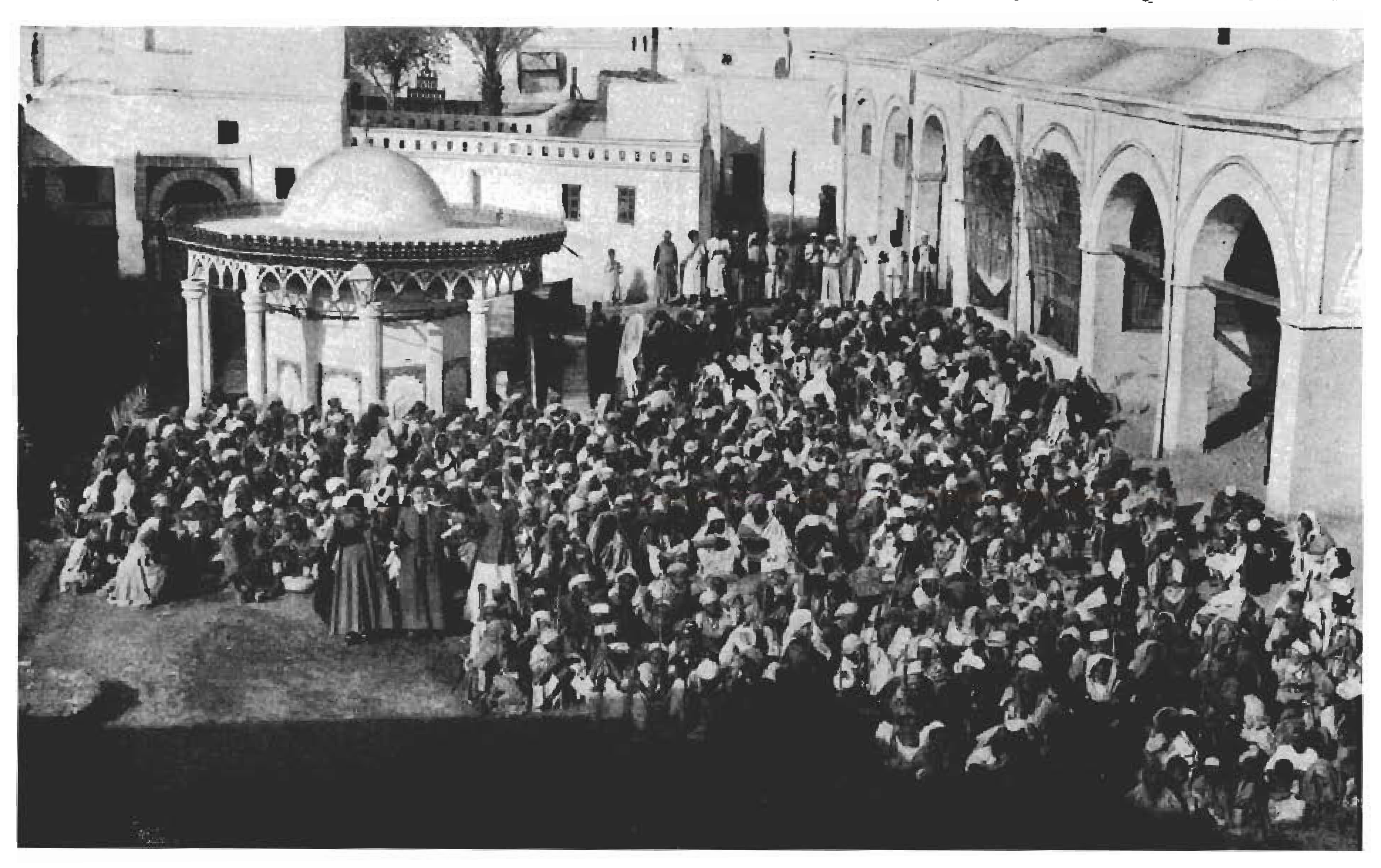
مسجد الخليفة أبي بكر الصديق بالمدينة المنورة (إبراهيم رفعت محرم ١٣٢٦/١٩٠٨م).

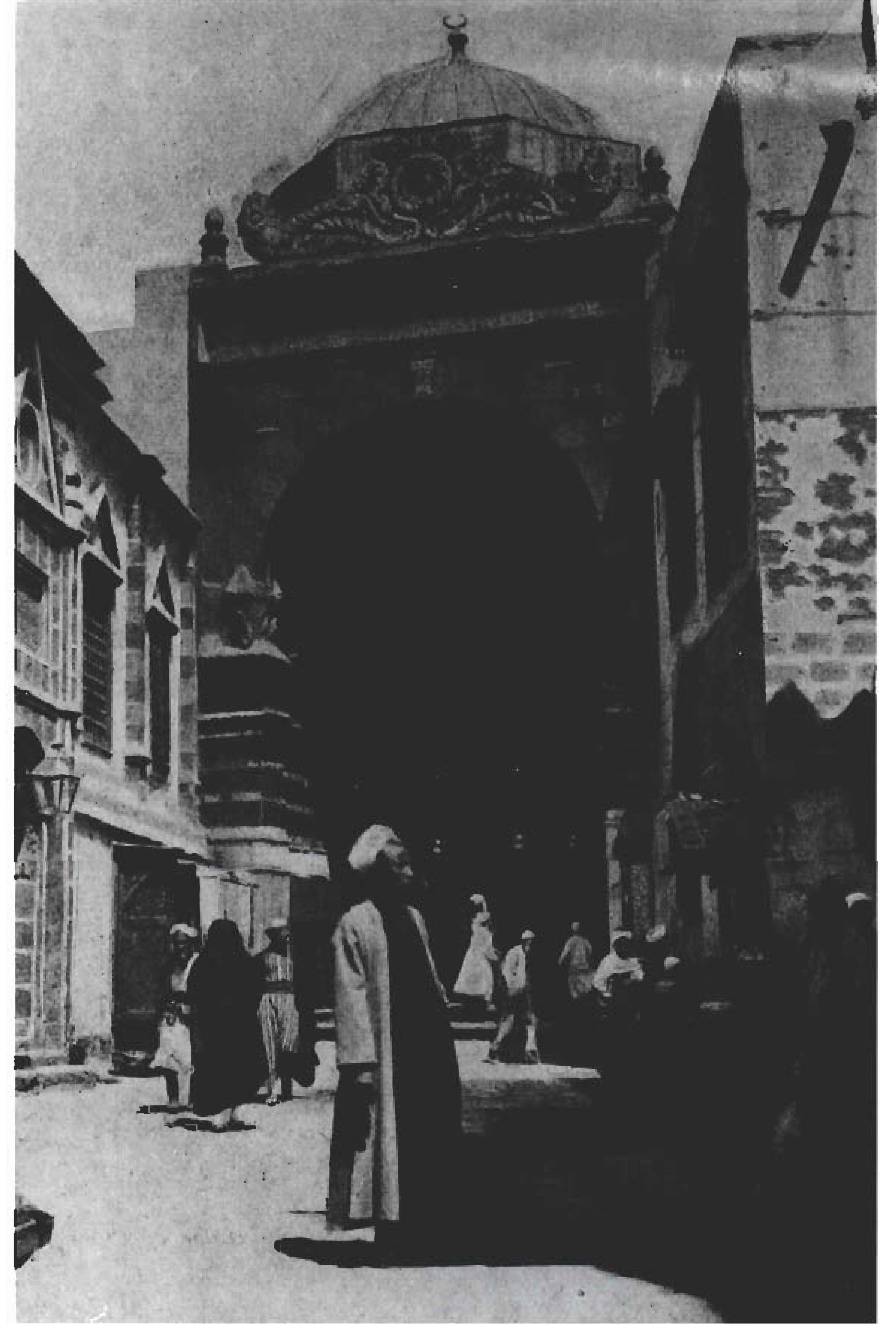


المدينة المنورة عام ١٣٢٦/١٩٠٨م (هالاجيان).



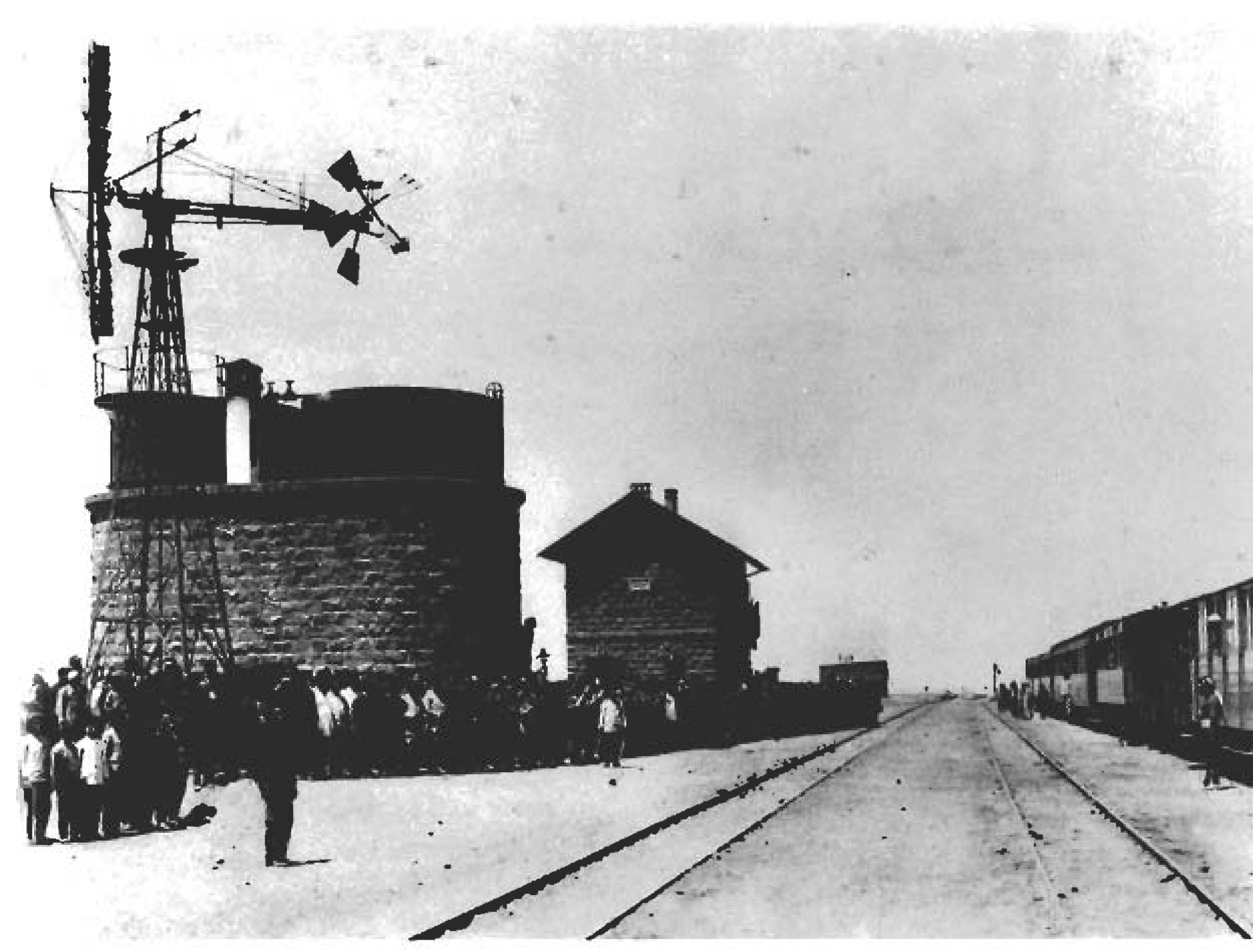
التكية المصرية (وقف محمد علي باشا) - المدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١، ١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨م).



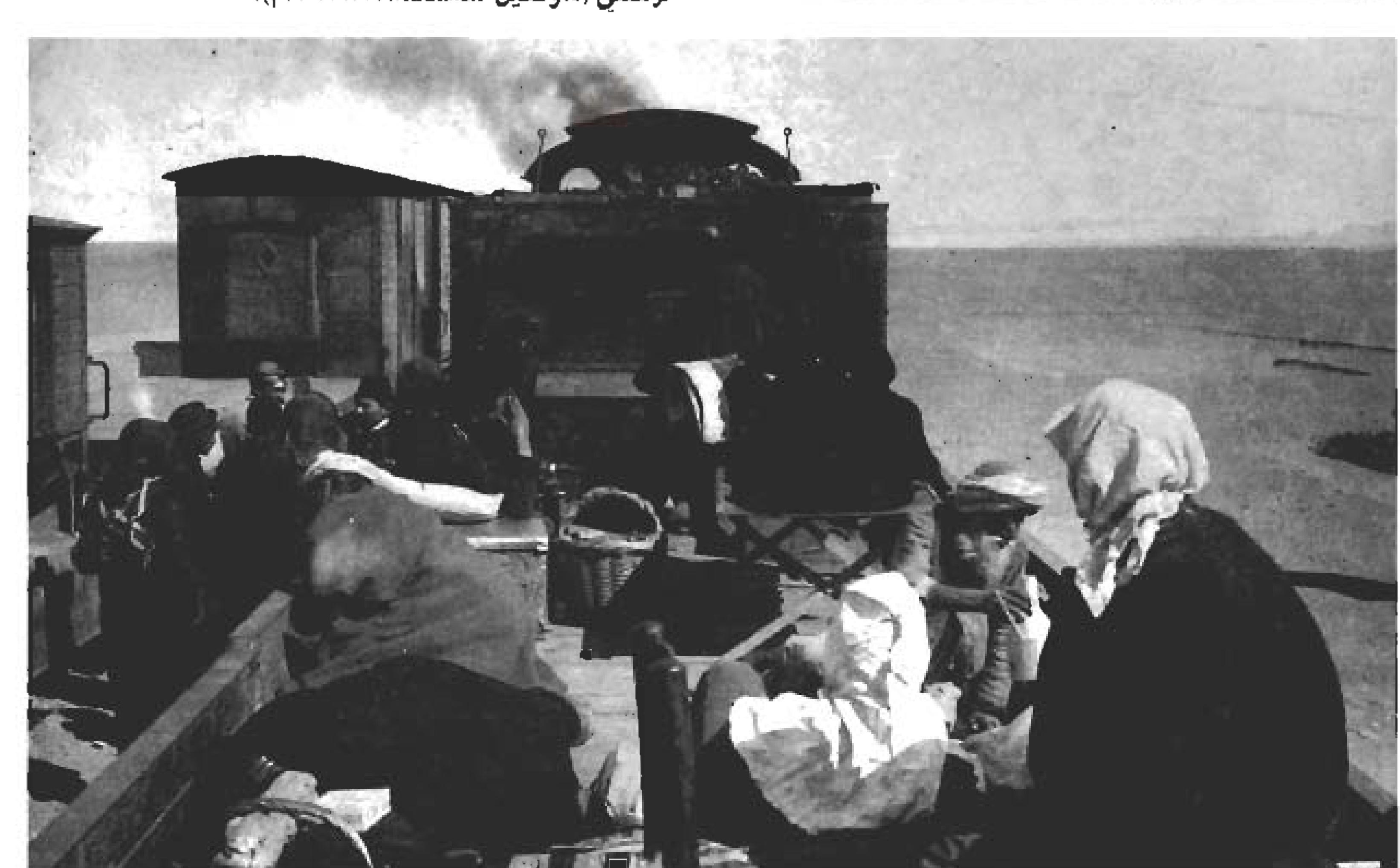


باب السلام في المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة (إبراهيم رفعت ١٣٢١، ١٣٢٢ أو ١٣٢٦/١٩٠٣، ١٩٠٤ أو ١٩٠٨م).

افتتاح محطة تبوك، إحدى المحطات الرئيسية لخط سكة حديد الحجاز (هالاجيان حوالي عام ١٣٢٢/١٩٠٨م).



صورة لركاب يستخدمون خط سكة حديد الحجاز قبل افتتاحه الرسمي (ماونسيل Maunsell ١٣٢١/١٩٠٧م).



إنشاء محطة المعظم، إحدى محطات خط سكة حديد الحجاز بين تبوك ومدائن صالح (هالاجيان حوالي عام ١٣٢٢/١٩٠٨م).



**شيوخ قبائل شمال الحجاز يتجمعون في العلا بمناسبة افتتاح خط سكة حديد الحجاز (هالاجيان ١٣٢٢/١٩٠٨م).**



قلعة في المعظّم يعـود تاريخها إلى القرون الوسطى. لقد تبع خط سكة حديد الحجاز طريق الحج التقليدي من دمشق وكان يمر على محطات مبنية حول برك مياه محصنة مثل تبوك والمعظّم والأخضر ومدائن صالح (هالاجيان ١٣٢٣/١٩٠٨م).





**الصفحة المقابلة: مجموعة من الحجاج حين نزولهم إلى ميناء جدة (كليمو Clemow ‎١٣٢٠/١٩٠٦م).**

**باب مكة، جدة. التقط الصورة الدكتور إف. جي. كليمو، ربما حينما كان مندوب بريطانيا في اللجان الدولية لبحث الوقاية الصحية لساحل شبه الجزيرة العربية وخط سكة حديد الحجاز (كليمو ١٣٢٠/١٩٠٦م).**



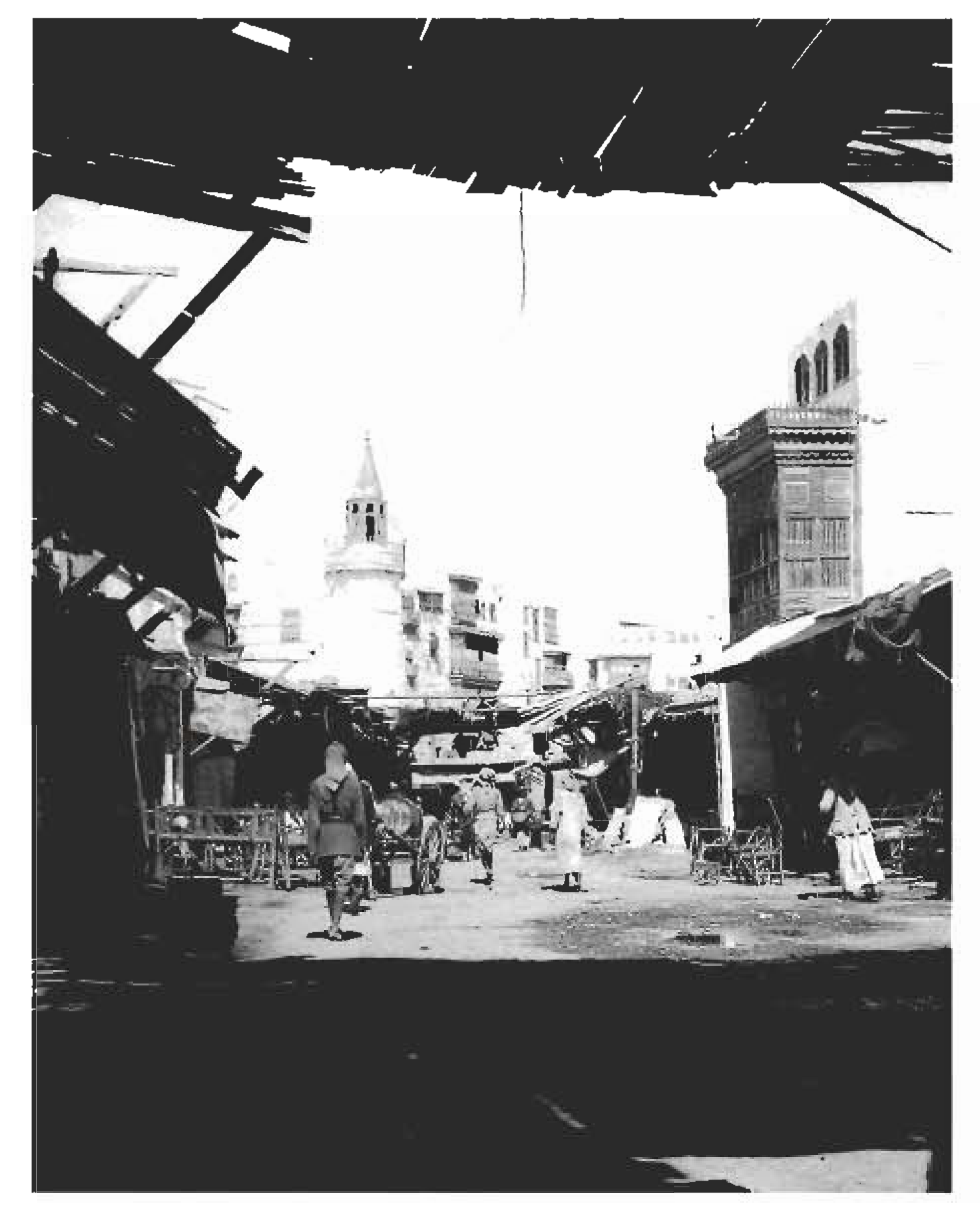
**بيوت في مدينة جدة، التقط الصورة إل. فيوريلو في بداية القرن الماضي (تسعينيات القرن الميلادي الماضي)، وكان مصوراً تجارياً بارزاً اتخذ من الإسكندرية مقراً له منذ ثمانينيات القرن الثالث عشر (سبعينيات القرن الميلادي الماضي). ومن أشهر أعماله الصور التي التقطها لترميم قناة السويس وآثار القصف المدفعي البريطاني على الإسكندرية في عام ١٣٠٠/١٨٨٢م. (فيوريلو، حوالي ١٨٩٠م)**

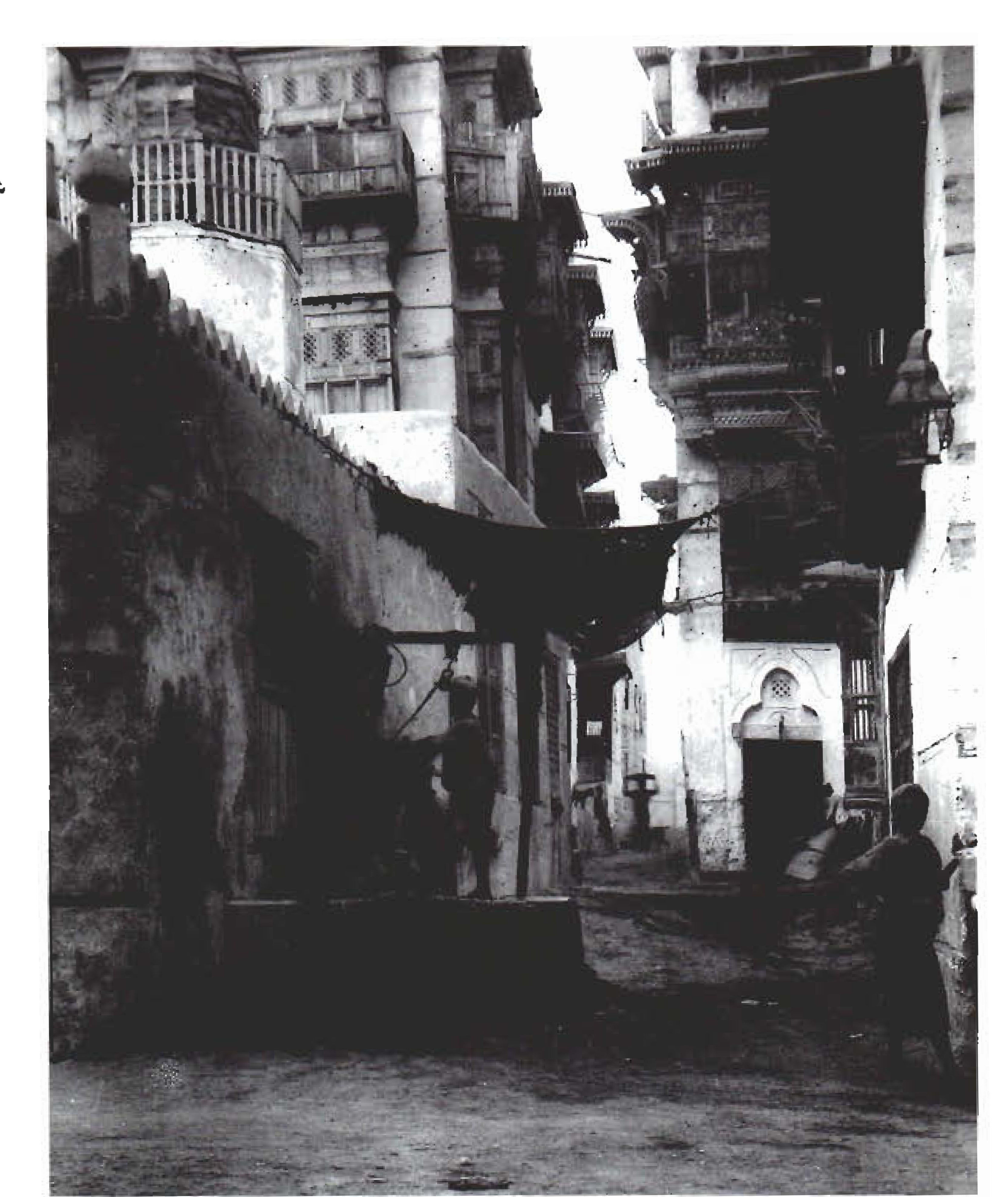


**صورة لمبنى في جدة. التقطها على ما يعتقد، أوين تويدي Owen Tweedy الصحفي البريطاني خلال زيارته لجدة في عامي ١٣٤٦ و١٣٤٧ (١٩٢٧ و ١٩٢٨م)، وقد ظهرت الصورة في ملف مصور كان يملكه نورمان مايرز الدبلوماسي البريطاني في جدة في الفترة من ١٣٤٥ إلى ١٣٤٦ (١٩٢٦-١٩٢٧م). (تويدي ١٩٢٧-١٩٢٨م)**



**سوق جدة (فيلبي ١٣٣٦/١٩١٧م).**

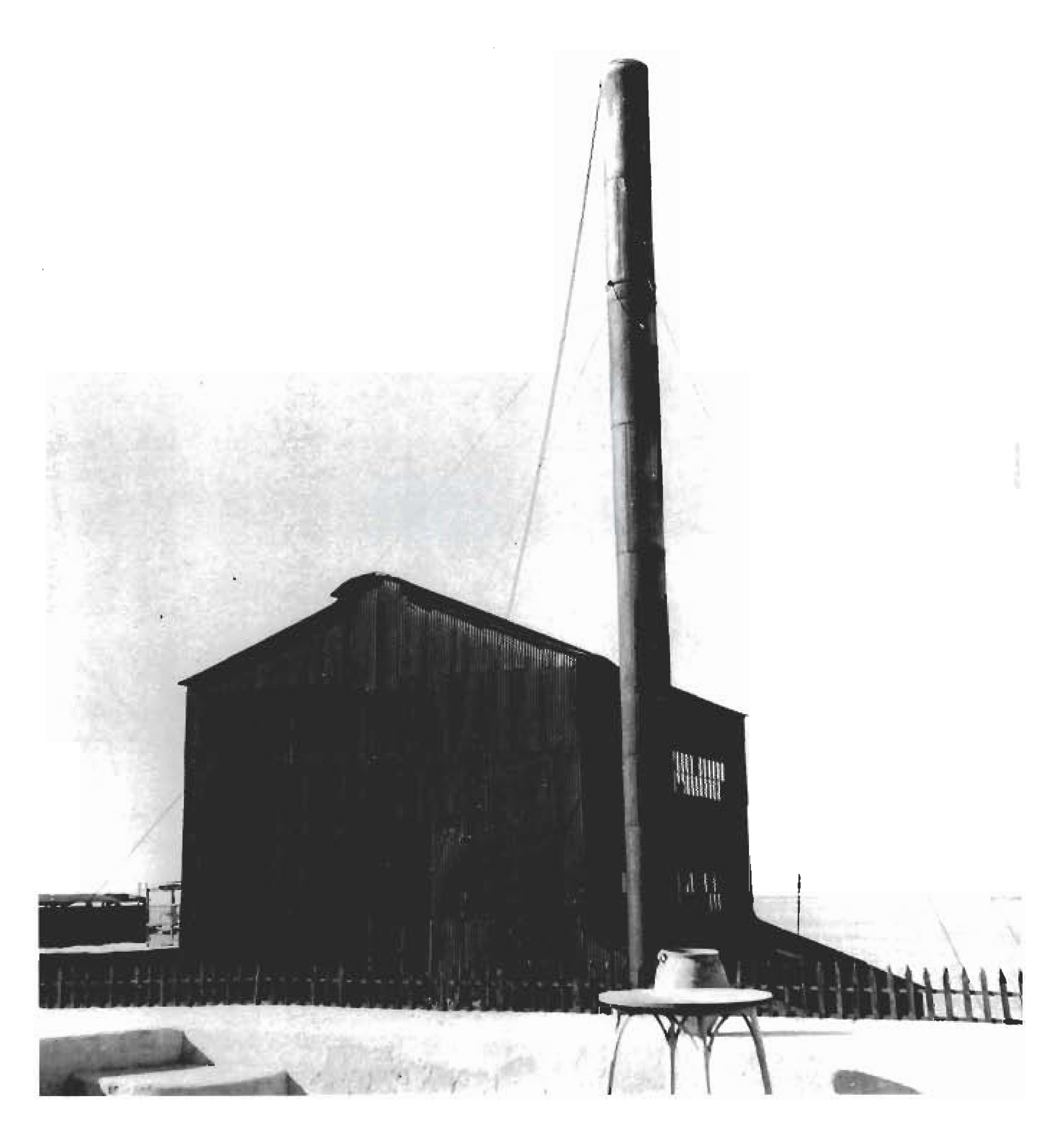




شارع في جدة (لورانس ١٣٣٥/١٩١٦م).

باب مكة من الخارج، جدة. تبدو في مقدمة الصورة إحدى عربات نقل الماء التي كانت شائعة في تلك الفترة
(ستاينيكي، خمسينيات القرن الماضي/ ثلاثينيات القرن الميلادي الحالي).





يســــــار: إحدى مكثفات ماء البحر (الكنداسة) والتي أنشأها العثمانيون في بداية القرن الماضي لتحلية مياه البحر من أجل تعزيز موارد المياه في جدة (دي غاوري ١٣٥٤/١٩٣٥م).







أعلى يمين: مرسى القوارب في ميناء جدة (أوليغار، ستينيات القرن الماضي/ أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

أعلى يسار: تفريغ السكر في ميناء جدة الجديد (أوليغار، ستينيات القرن الماضي/ أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

يسار: الحجاج في انتظار التفتيش في المحجر الصحي في جدة (أوليغار، ستينيات القرن الماضي/ أربعينيات القرن الميلادي الحالي).

الصفحة المقابلة: بيت البغدادي، أحد مباني جدة الرفيعة وقد أصبح مكتبا لشركة النفط الأمريكية صاحبة الامتياز منذ عام ١٣٥٣/١٩٣٣م (أوليغار، ستينيات القرن الماضي/ أربعينيات القرن الميلادي الحالي).





يسار: قوات عربية تركب البواخر من ميناء الوجه، المرفأ الصغير الواقع على البحر الأحمر، خلال الثورة العربية. ضد الحكم العثماني في عام ١٣٣٦/١٩١٧م (كامبل Campbell، ١٩١٧م)

السوق في الوجه (غوزليت Goslett ١٣٣٥/١٩١٦-١٩١٧م).



شارع في ينبع عام ١٣٣٥/١٩١٦م. يماثل النمط المعماري المحلي نمط مدينة جدة. وقد أقام تي. إيه. لورانس بالمنزل الواقع على اليمين (لورانس ١٩١٦-١٩١٧).



قوارب شراعية ترسو في ينبع، ميناء المدينة المنورة في أواخر الخمسينات من القرن الماضي (أواخر الثلاثينيات من القرن الميلادي الحالي). كان على القوارب الأكبر أن ترسو بعيدا في البحر الأحمر ليتم تفريغها عن طريق القوارب الصغيرة مثل التي تحتل مقدمة الصورة (ستاينبكي حوالي ١٩٣٠م).

**منظر فريد للطائف، لمصور مجهول الهوية، ربما في بداية القرن الماضي (تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي).**



**أسفل: وادي محرم، غرب الطائف في الطريق إلى مكة المكرمة عبر الهدا (فيلبي ١٣٤٩).**

يســـار: مرفأ أملج الصغير الواقع على البحر الأحمر خلال الثورة العربية (لورانس ١٣٣٦/١٩١٧م).



## المنطقة الوسطى

يحظى وسط شبه الجزيرة العربية، الذي ينقسم إلى نجد الأعلى غرباً، ونجد الأسفل شرقاً، بحدود جغرافية واضحة، وهي حدود لعبت دورها في عزل المنطقة عن التأثيرات الخارجية. فإلى الشمال تحدها صحراء النفود والتي تتفرع عنها كثبان الدهناء الرملية المتحركة في اتجاه الجنوب لتقيم حاجزاً يحدد معالم الطرف الشرقي من نجد، وتلتحم رمال الدهناء من جهة الجنوب بالربع الخالي المستعصي على العبور.

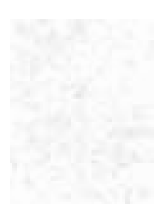
تنحدر نجد انحداراً خفيفاً إلى جهة الشرق من جبال الحجاز حتى تلتقي بأمواج الرمال المتوجهة شمالاً وجنوباً وبجروف نجد الأسفل الحادة الانحدار والمتجهة غرباً. يعتبر جبل طويق، عمود الجزيرة العربية الفقري، أهم تلك الجروف، وكان من شأن الوديان التي تحمل مياه غرب شبه الجزيرة العربية وجبل طويق أن جعلت نجد الأسفل منطقة مروية بشكل جيد. ازدهر الاستيطان لآلاف السنين خصوصاً في وادي حنيفة والقصيم، وبالمقابل ظل نجد الأعلى معقلاً لقبائل بدوية كبيرة مثل عتيبة وقحطان وحرب.

كونت الخرج ومنطقة وادي حنيفة التي تقوم عليها الرياض اليوم، في فترة ما قبل الإسلام مملكة اليمامة. وأصبحت نجد، بعد فترة سكون في القرون الإسلامية الأولى، مأهولة من جديد بحلول القرن التاسع (القرن الخامس عشر الميلادي)، وتعود إلى تلك المرحلة بالتحديد جذور الاستيطان الحضري التي ما نزال نراها اليوم.

أصبحت المستوطنات في مناطق نجد الأسفل في القصيم وسدير والوشم ووادي حنيفة، في أحيان عديدة من القوة بحيث نصبت نفسها سلطة إقليمية بسطت نفوذها على قبائل البدو. ولقد بلغت تلك العملية أوجها في القرن الثاني عشر (القرن الثامن عشر الميلادي) حين تضافرت جهود الإمام محمد بن سعود في الدرعية مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لإقامة مجتمع إسلامي أصيل، ولنشر رسالة الدعوة الإصلاحية في طول شبه الجزيرة العربية وعرضها. انتقل مقر السلطة من الدرعية إلى الرياض في عام ١٢٤٠ (١٨٢٤م) مضفياً على العاصمة شرعية ما زالت باقية حتى اليوم.

كانت القصيم ببلدتيها التوأمتين الواحتين عنيزة وبريدة، وبالقرى الزراعية الأصغر مساحة، أكثف مناطق نجد سكاناً، وقد مارس تجار تلك المنطقة تجارة قوافل رابحة بين العراق والشام والحجاز، وكان هناك تنافس بين مدينتي بريدة وعنيزة خاصة مع موقعهما بين حائل ووادي حنيفة.

**الصفحة المقابلة: الجزء الغربي للسوق في الرياض، ويُرى فيه سوق النساء تحت حائط قصر الحكم إلى اليسار، والمنطقة الرئيسية المتاخمة للجامع الكبير إلى اليمين (شكسبير ١٣٣٣/١٩١٤م).**





أعلى: الملك عبد العزيز آل سعود، وكان في هذه المرحلة من حياته، سلطان نجد وملحقاتها (الريحاني ١٣١٤/١٩٢٢م).

يمين: قصر البديعة، مقر الضيافة الرسمي في الرياض، والواقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة. (دي غاوري ١٣٥٨-١٣٥٩/١٩٣٩-١٩٤٠م).

أعلى الصفحة المقابلة: توزيع الإبل في الشمسية الواقعة خارج أسوار مدينة الرياض، قبل بدء إحدى الحملات (شكسبير ١٣٣٢/١٩١٤م).

أسفل الصفحة المقابلة: ساحة الصفاة بالرياض، وهي مزدحمة بالناس بعد صلاة الجمعة (دي غاوري ١٣٥٥/ ١٩٣٦م)



ساحة الصفاة بالرياض (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).





شارعان من شوارع مدينة الرياض القديمة
(ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).

**الجزء الجنوبي من سور مدينة الرياض، بالقرب من بوابة دخنة (ستاينيكي ١٣٥٦/١٩٣٧م).**





بوابة دخنة، إحدى البوابات الجنوبية للرياض. كان على سور المدينة القديمة تسع بوابات ونحو عشرين من الأبراج، وكان عرضها يقل عن الثمانمائة متر (ستاينيكي ١٣٥٦/١٩٣٧م).



الصفحة المقابلة: البوابة الخلفية لقصر الحكم بالرياض، وتظهر أمامه بعض السيارات، وكان استيراد السيارات قد بدأ منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي/ عشرينيات القرن العشرين الميلادي (ستاينيكي ١٣٥٦/١٩٣٧م).

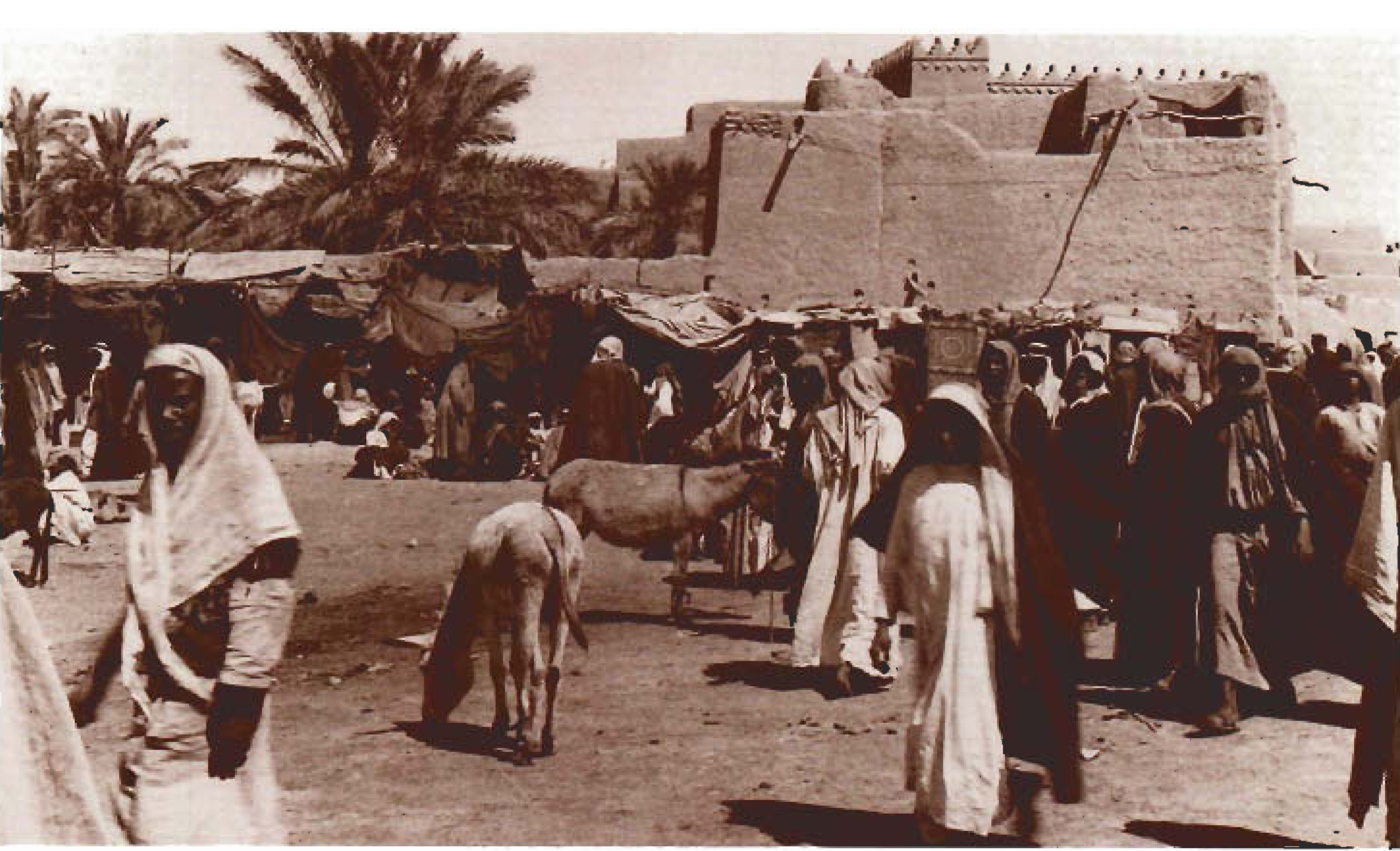
المدخل الرئيسي لقصر الحكم. يصل الجسر القصر ببيت المال عابرا الطرف الشرقي من السوق (ستاينيكي ١٣٥٦/١٩٣٧م).



إسطبلات خيول الملك عبد العزيز في الخرج. كانت الخيول العربية أعز مقتنيات حكام شبه الجزيرة العربية، وتعتبر هذه الخيول من أفضل الخيول في العالم (دي غاوري ١٣٥٣-١٩٣٤/١٣٦٣-١٩٤٤)



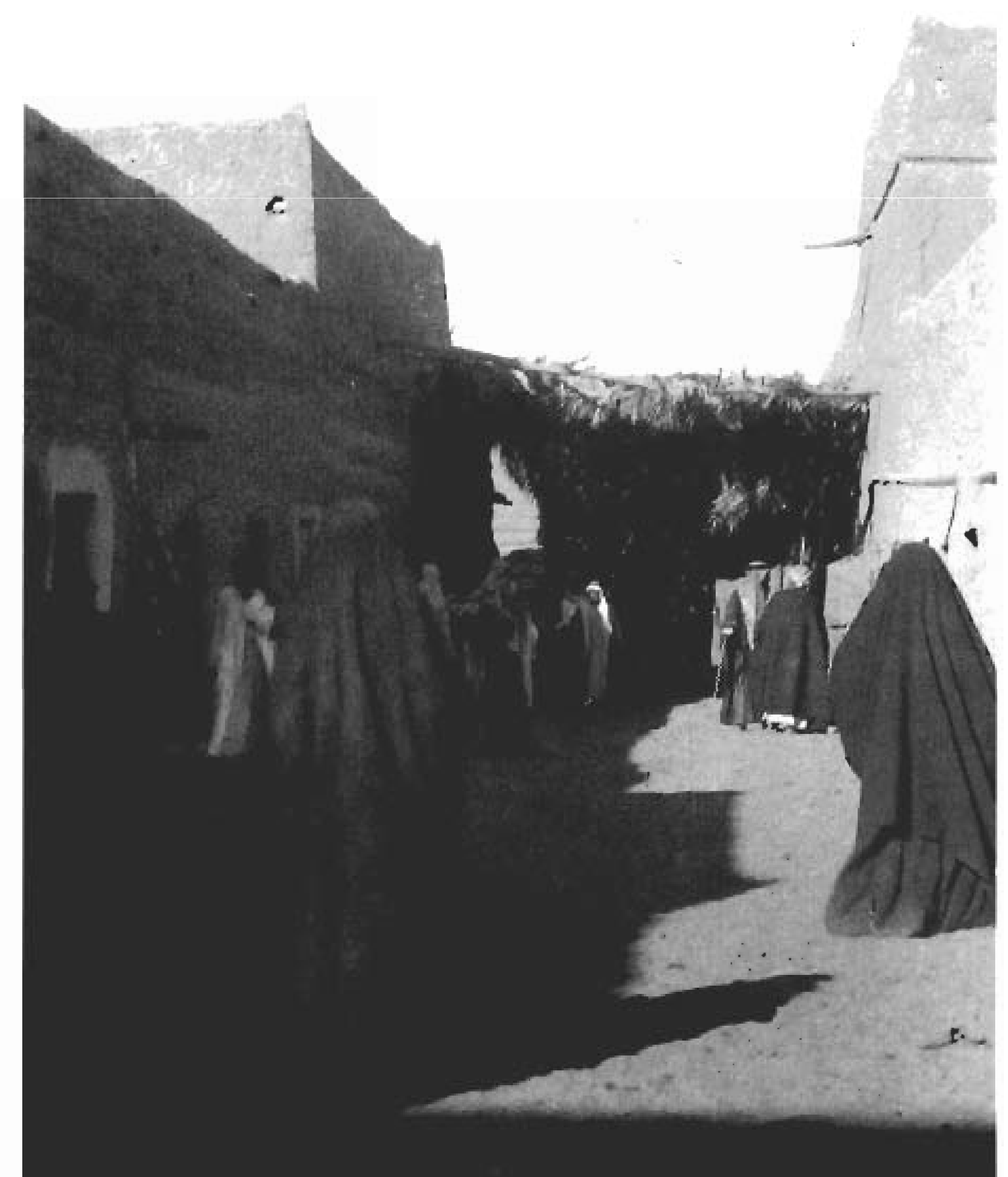
جزء من سوق الرياض عام ١٣٥٦/١٩٣٧م، ولعله المعروف باسم برحة المريقب في الجانب الغربي من المدينة القديمة (ريندل ١٩٣٧م).



الصفحة المقابلة: السوق الرئيسي في الرياض عام ١٣٦٩ (١٩٤٩م)، ويبدو في خلفية الصورة الجامع الكبير بأعمدته المتميزة. كان الجسر الواصل بين الجامع والقصر لتمكين الملك عبد العزيز من التحرك بيسر وأمان. التقطت هذه الصورة من جهة قصر الحكم، وقد تم هدم المنطقة كلياً في السبعينيات من القرن الماضي (الخمسينيات من القرن الميلادي الحالي) لإفساح المجال للبدء في بناء مركز المدينة الجديد. (والترز ١٩٤٩م).



في سوق بريدة (فيلبي ١٣٣٧/١٩١٨م).







يسار: عيون الجوا، إحدى واحات شمال القصيم، ولم يكن لها سور بخلاف المعتاد في نجد. يمثل البرج الدائري الذي كان سمة للمآذن أيضا أحد ملامح العمارة التقليدية في القصيم (ليشمان ١٣٣١/١٩١٢م).

أسفل: بريدة من جهة الشمال. كانت بلدتا بريدة وعنيزة المتجاورتان مركزي القصيم الرئيسين (شكسبير ١٣٣٣/١٩١٤م).

**عائلة من قبيلة السهول تستعد الترحال من آبار الرمحية.**
**(ثيسيفر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**





**يمين: أحد رجال القبائل البدوية في روضة التنهات في نجد (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**

**أسفل: ولد من قبيلة السهول إحدى القبائل البدوية الرئيسية في نجد، وذلك عند آبار الرمحية شمال الرياض. (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**

**أسفل: رجال من قبيلة السهول يسقون الإبل في آبار الرمحية مستخدمين المنهل والإطار الخفيفين العاديين. (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**





واحة وبلدة مرات في الوشم إحدى مناطق نجد الأسفل المزدهرة، والتي مركزها مدينة شقراء الواقعة بين الرياض والقصيم. كانت أسوار المدن التقليدية في نجد وحدائقها مبنية لمنع الرمال والمتسللين، وكان الري يتم عن طريق الآبار التي كان يستخرج منها الماء بواسطة المواشي. كانت الحبوب تزرع في سنوات الأمطار الغزيرة خارج الأسوار كما يبدو في مقدمة الصورة (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).





## المنطقة الشمالية

تشرف صحراء النفـود العظمى ممتدة عبر شمال شبـه الجزيرة العربيـة لتمثل حاجـزاً بين نجد وبادية الشـام شمالاً، وتشكل التلال الرملية حاجـزاً مانعاً للاتصال خاصـة في فصل الصيف، بيد أنه ما أن ينتهـي موسم الأمطار في الشتاء والربيع حتى تكتسي المنطقـة بمراع وافرة تتنازع عليها قبائل البدو المجاورة.

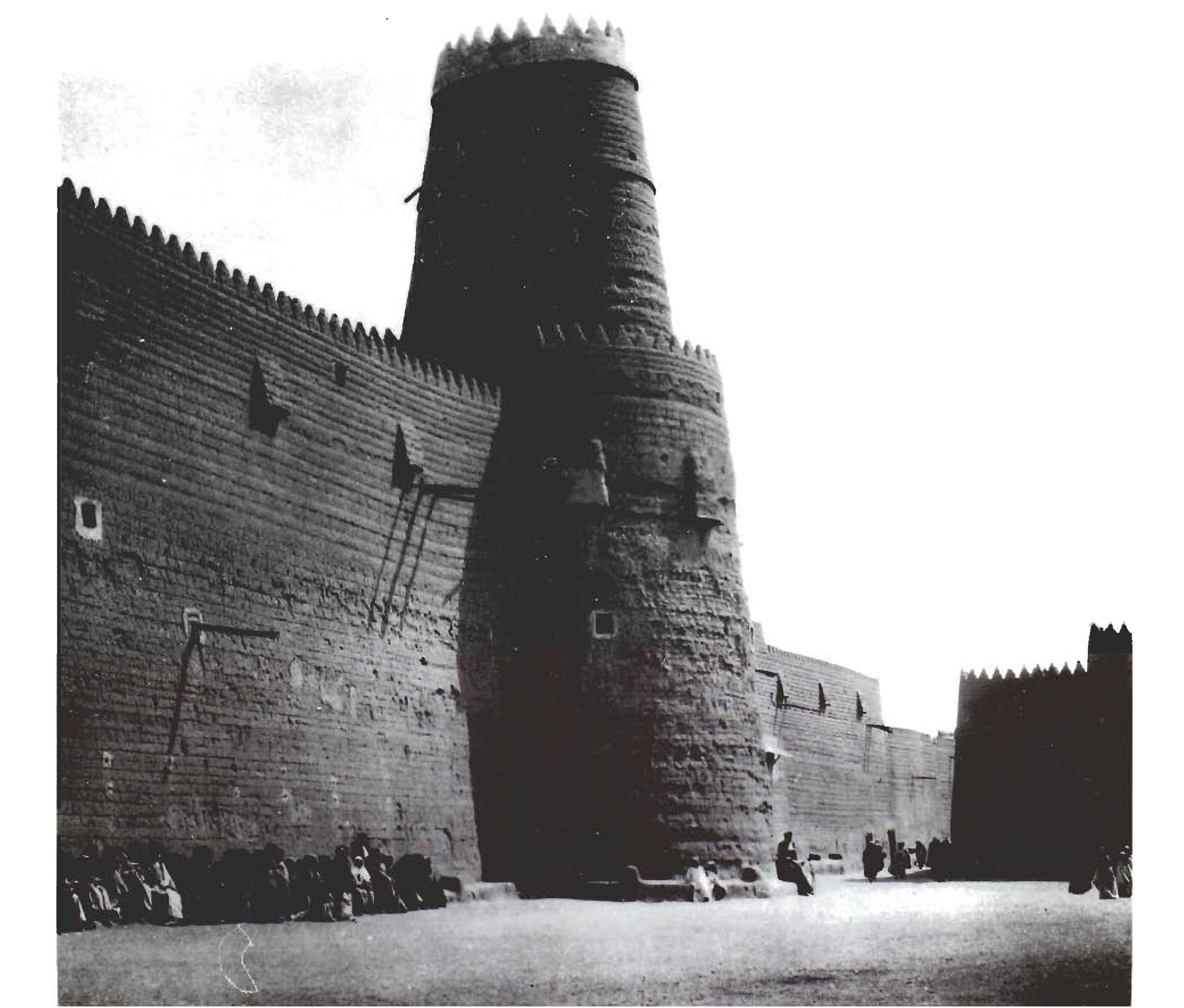
كـان منخفض الجوف بـواحتيـه التوأمتين دومـة الجنـدل وسـكاكا على الطرف الشمالي مـن النفود، لقرون عـدة، بوابة لوسط شبه الجزيـرة العربية، إذ أنه يقع على ملتقـى الطرق المتصلة بالعـراق وبلاد الشام، وكـان من يسيطر على الجوف عـادة ما يسـيطر على شمال شبـه الجزيرة العربية. كانت الجوف قبل تأسـيس المملكة العـربية السعودية محل نزاع بين شيوخ آل شعلان من قبيلـة الرولـة، وهي مـن قبائل عنزة التـي تسيطر على بـادية الشـام الواقعـة في شمال شبه الجزيرة، وبين حائل معقل ابن رشيد وقبيلة شمر.

تقع حائل على الطرف الجنوبي من النفود محمية مـن الرمال بجبل أجا، وقد أصبحت حائل في أواخر القرن الثاني عشر (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، ولحين من الزمن، القوة السائدة في نجد، مطفئة بريق الـرياض، بيد أنه تم إعادة استيعابها إلى الدولة السعـودية الوليدة في عام ١٣٣٩ (١٩٢١م).

كانت في منطقـة حائل وعبر قرون مواطـن كبيرة تسيطر على طرق قوافـل الحج والتجارة بين العراق والحجـــاز، ولكن كانت تيماء الواقعة قبالة الطرف الغربي من النفود والجوف تزهوان بتاريـخ أكثر عراقـة منها نظراً لـوجود المواقع الأثـرية فيها. كـانت نجد وشمال شبـه الجزيرة العربيـة وأجزاء أخـرى منها، مهـد المجتمع القبلي العـربي، بدواً وحضراً، والـذي يعتمد على الإبل والنخيل، ذلك المجتمع الذي انطلق إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية مع الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي ). ميزت الصفة القبلية حائل وتيماء والجوف ووادي السرحان حتـى العصر الحديث، فهي مواطـن قبلية أصلاً تحكمها وتتخـذها مقراً لها القبائل البدوية المحاربة.

كان وادي السرحـان، الذي هـو منخفض طولي أكثـر منه واد، المنفذ الـرئيسي للاتصـال ببلاد الشام. وكانت القرى التي تقع على أطرافه الشماليـة تسمى بقرّيات الملح، ومنها بلدة القريات، وذلك بحكم صناعتها الرئيسية المتمثلة في تجفيف الملح ونقله إلى الشمال.

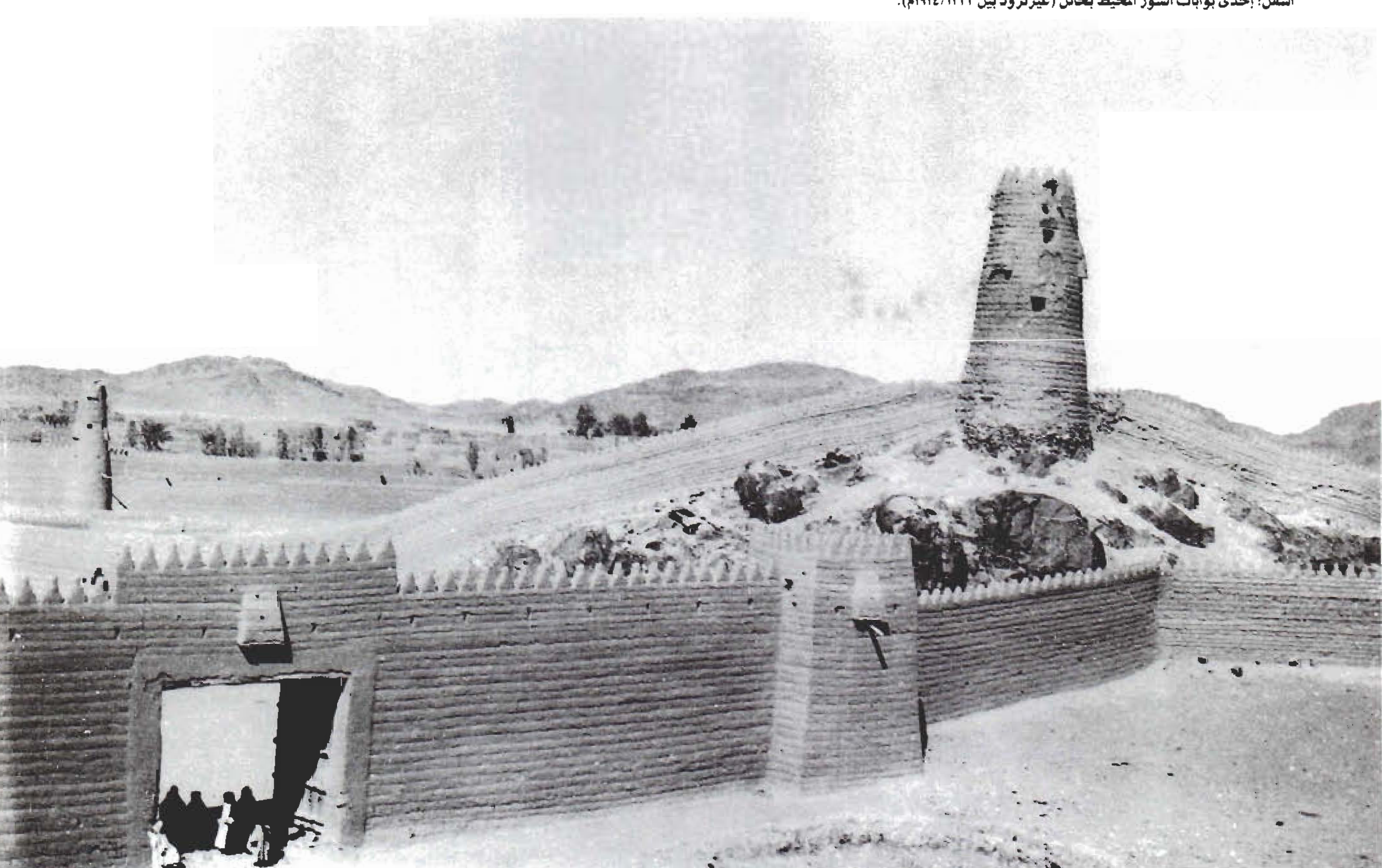
**الصفحة المقابلة: كان لسور وأبراج مدينة حائل والمبنية من الطين نمط خاص متميز (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**



**أعلى الصفحة المقابلة: سطوح المنازل في حائل (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**

**أسفل الصفحة المقابلة: الميدان الرئيسي في وسط حائل (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**

**أسفل: إحدى بوابات السور المحيط بحائل (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**





يمين: الروشن في حائل، أو قاعة الاستقبال. وصفتها غيرترود بيل بقولها: «جرى استقبالي في روشن القصر وهو مكان في منتهى الروعة، له أعمدة ضخمة تدعم سقفاً عالياً جداً. كانت الحيطان مطلية باللون الأبيض، وكانت الأرض من الجص اللامع والذي بدا كما لو أنه كان مصقولاً. جلسنا وظهورنا للحيطان على السجاجيد والوسائد» (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

يمين الصفحة المقابلة: الانتظار في مدخل بيت أحد وجهاء حائل. (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

يسار الصفحة المقابلة: طريق في سوق حائل. (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

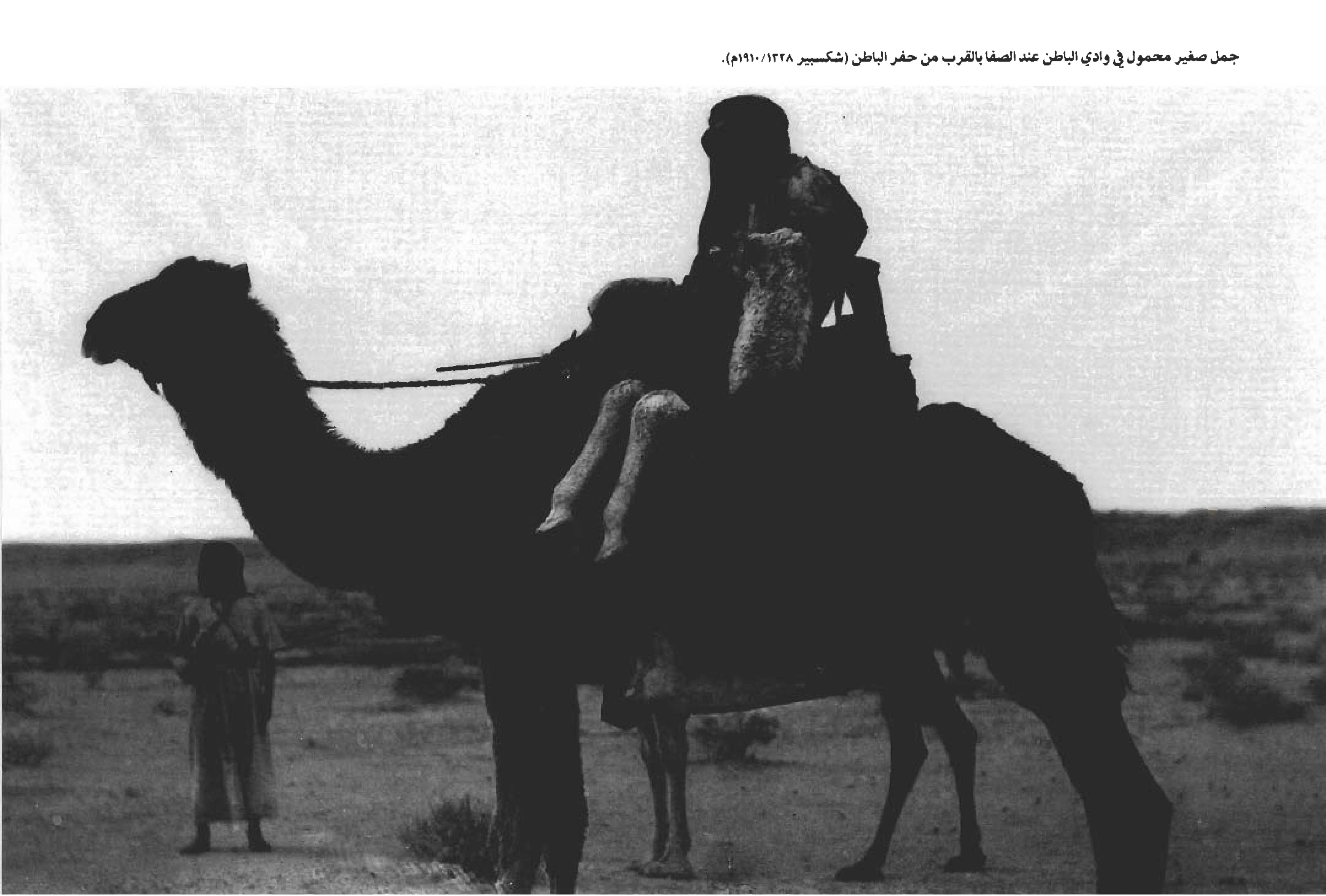


**أعلى: خيمة لقبيلة شمر. (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**

**يسار: في معسكر عودة أبو تايه في شمال غرب النفود على الطريق المؤدي إلى حائل. كان عودة شيخ الحويطات قد لعب دوراً جوهرياً في «الثورة العربية» وقد أثنى عليه تي. إي. لورانس في «أعمدة الحكمة السبعة» (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**

**الصفحة المقابلة: رجل من الحويطات أمام هودج، وكان الهودج يستخدم ساترا أومظلة من الشمس للنساء والأطفال في الترحال (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).**

جمل صغير محمول في وادي الباطن عند الصفا بالقرب من حفر الباطن (شكسبير ١٣٢٨/١٩١٠م).



جلب الماء من بئر في النفود، ويبدو في خلفية الصورة كثيب هائل من الرمال. كان البدو يحملون بكرات صغيرة مثل التي في الصورة في ترحالهم (غيرترود بيل ١٣٣٢/١٩١٤م).



غزلان اصطادها رجال من الصلب (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).





أعلى: رجل من الصلب. كان الصلب حرفيين وقفاة أثر وبياطرة، وكانوا يسكنون في شمال صحراء شبه الجزيرة العربية. كانوا يركبون الحمير ويعيشون في خيام بسيطة، وتنظر إليهم القبائل نظرة دونية. كان الرجال من الصلب يرتدون لباساً شبيهاً بجلد الغزال مثل الذي في الصورة، ومشهود لهم بالمهارة في الصيد (غيرترود بيل ١٣٣٣/١٩١٤م).

يسار: فهد وشبله، اصطادهما رجل من قبيلة الرولة بين جبل طبيق والنفود. كانت أبقار الوحش الإفريقية والغزلان والوعول والمها والنعام والفهود تشاهد في أحيان كثيرة في شمال شبه الجزيرة العربية وذلك قبل ظهور الأسلحة النارية ومن بعدها السيارات (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).

**مجموعة من قبيلة الروله عند الرحيل. كانت رايتهم التي تبدو في الصورة تسمى «المركب»، وهي إطار خشبي مثل هودج ضخم مزين بريش النعام الأسود. يقال أن ذلك «المركب» تداولته أيدي القبائل على مر القرون، وأنه انتهى إلى قبيلة الروله منذ عام ١١٨٩/١٧٧٥م. كانوا يضعون فيه إحدى نساء القبيلة عند الحرب، حيث تقوم ببث الحماس في قومها للدفاع عن القبيلة (رسوان حوالي ١٣٤٥/١٩٢٦م).**









أعلى: قلعة قصر مارد العتيقة في دومة الجندل والتي جرى ترميمها حديثاً. يعتقد أن جذورها تعود إلى الأزمنة النبطية وربما قبلها (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).

يسار: مسجد الخليفة عمر بن الخطاب في دومة الجندل. أحد أقدم المساجد في المملكة العربية السعودية، ويقال أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بناه (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).



أعلى: داخل قصر مارد، أو قلعة الرولة. استخدم آل رشيد عندما كانوا يحكمون الجوف قلعة أخرى بنوها خارج الواحة مباشرة (شكسبير ١٣٣٣/١٩١٤م).

أسفل: منظر يطل على دومة الجندل، البلدة والواحة من قصر مارد. للمدينة تاريخ عريق وقد أتاح لها موقعها في المنحدر العميق سبيلاً إلى المياه (شكسبير ١٣٣٣/١٩١٤م).



قلعة الشيخ علي بن رمان حاكم تيماء (جاوسين وسافيناك ١٣٢٦/١٩٠٨م).



بئر هداج الكبيرة في تيماء والتي ما تزال تدار بالإبل. كانت تيماء واحة منعزلة ذات تاريخ جاهلي زاخر، وقد ظلت هذه البئر مستخدمة لما لا يقل عن ألفين وخمسمائة عام (فيلبي، أوائل سبعينيات القرن الماضي/ خمسينيات القرن الميلادي العشرين).

منظر لقرية كاف وواحتها، وهي إحدى قريات الملح في الطرف الشمالي من وادي السرحان. تم بناء القلعة الواقعة إلى اليمين من قبل ابن شعلان من قبيلة الرولة ليتخذها مقرا رئيسيا له (هولت ١٣٤٠-١٣٤١/١٩٢١-١٩٢٢م).



## المنطقة الشرقية

ظلت المنطقة الشرقية منذ قديم الزمن مسرحاً تمتزج فيه ثقافات وتأثيرات شتى من الخليج، وهي تأثيرات تتعارض أحياناً مع أساليب الحياة الأكثر تقشفاً وبساطة والسائدة في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية.

شهدت هذه المنطقة المعروفة الآن باحتياطيها الوافر من النفط والغاز، السلطة والرخاء في عصر تجارة القوافل قبل الإسلام، وكذلك في الفترة التي كانت فيها واحة الأحساء تحت حكم القرامطة في القرن الثالث (أوائل العصور الوسطى).

تعود المستوطنات في واحتي الأحساء والقطيف إلى آلاف السنين، وقد جعلت المياه الوفيرة، التي تبلغ سطح الأرض تحت تأثير ضغطها الذاتي، من الأحساء إحدى أكبر الواحات في العالم. كان من شأن هذه الواحة خلال القرون الأخيرة أن تدعم وجود بلدتين كبيرتين وأكثر من خمسين قرية ونحو ثلاثة ملايين من أشجار النخيل. كانت الهفوف مقراً للسلطة المركزية وكانت سوقها من أهم أسواق المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية. وكان معظم أهل الهفوف من التجار والحرفيين والمزارعين قد خبت صلتهم بالقبلية التي كانوا عليها يوماً ما، أما القطيف، الواحة الساحلية، فقد كان من سكانها صيادو السمك والغواصون الباحثون عن اللؤلؤ والبحارة لقوارب، وهؤلاء لم يكونوا قبليين في الغالب.

كانت القبائل البدوية تنتقل بين المراعي الخصيبة في الشمال وبين اليباب الرملي في الربع الخالي في الجنوب، حيث اشتهر «المرة» بالصبر على الشدائد وباكتفائهم الذاتي. تمكنت القبائل الأقوى عبر القرون من السيطرة على المناطق الحضرية، لتستقر بها متحضرة في آخر الأمر. فبنو خالد مثلاً حكموا الأحساء في فترات متقطعة، بعد أن غادرها العثمانيون عام ١٠٨١ (١٦٧٠م) وحتى أربعينيات القرن الثالث عشر (ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي). مثلت قبيلة العجمان وحتى وقت قريب نسبياً، خطراً على الواحات حتى عام ١٣٣١ (١٩١٣م) عندما ضم الملك عبد العزيز آل سعود المنطقة الشرقية تحت السلطة السعودية.

حجب العداء التقليدي العلني بين البدو والحضر في المنطقة الشرقية، كما هو الحال عادة في شبه الجزيرة العربية، في الكثير من الأحيان، واقعاً أعمق من التكافل، فأسواق المدن والقرى كانت توفر للبدو الكثير من ضروريات الحياة مقابل منتجاتهم الحيوانية، فيما كان الحضر يعتمدون على البدو كحلفاء في الحروب بفضل تعداد رجالهم، وبما يملكونه من حيوانات ومن إبل. كذلك فإن الواحات، لدى المقارنة مع الأرض القفر اليباب، كانت كثيراً ما تغري البدو بالتحضر، مما أدى إلى ارتباطات قبلية متينة عبر الخط الفاصل بين البدو والحضر.

**أعلى الصفحة المقابلة: الملك عبد العزيز آل سعود، وبعض أفراد عائلته وأتباعه في ثاج. يقف إلى يمينه أخوه سعد بن عبد الرحمن الذي قتله العجمان في عام ١٣٣٤/١٩١٥م (شكسبير ١٣٢٩/١٩١١م).**

**الصفحة المقابلة: رجال الملك عبد العزيز آل سعود يرحلون من ثاج، المنطقة الشرقية (شكسبير ١٣٣٣/١٩١١م).**



يجري في القسم من الخيمة المخصص للرجال بحث أمور اليوم أثناء تقديم القهوة، رمز الضيافة العربية الأصيلة. (باتيجيلي ١٣٧٠/١٩٥٠م).



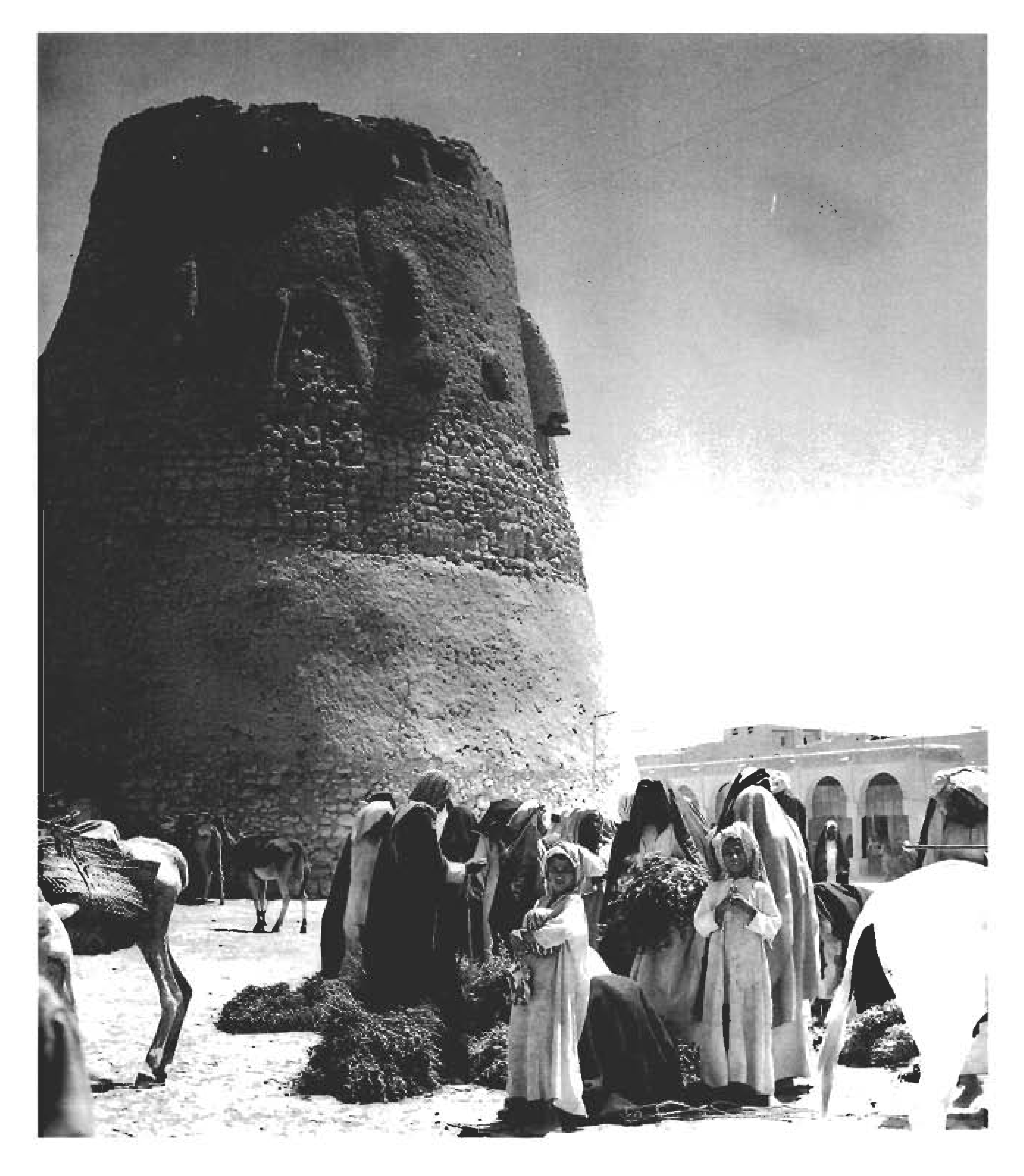


أحد «الإخوان» أي رجال القبائل الذين بدأ الملك عبد العزيز آل سعود توطينهم في الهجر حوالي عام ١٣٣١ (١٩١٢م)، وقد بلغ عدد الهجر في نجد وشرق الجزيرة العربية الـ ٢٠٠ هجرة. كوّن الملك عبد العزيز من الإخوان قوة مقاتلة ساهمت في توحيد البلاد. تميز الإخوان بحماسهم وشدتهم وبساطة معيشتهم، وبزيهم الخاص البسيط (شيزمان ١٣٤٢/١٩٢٣م).

رجال من العجمان عند الرحيل (شكسبير ١٣٢٩/١٩١١م).

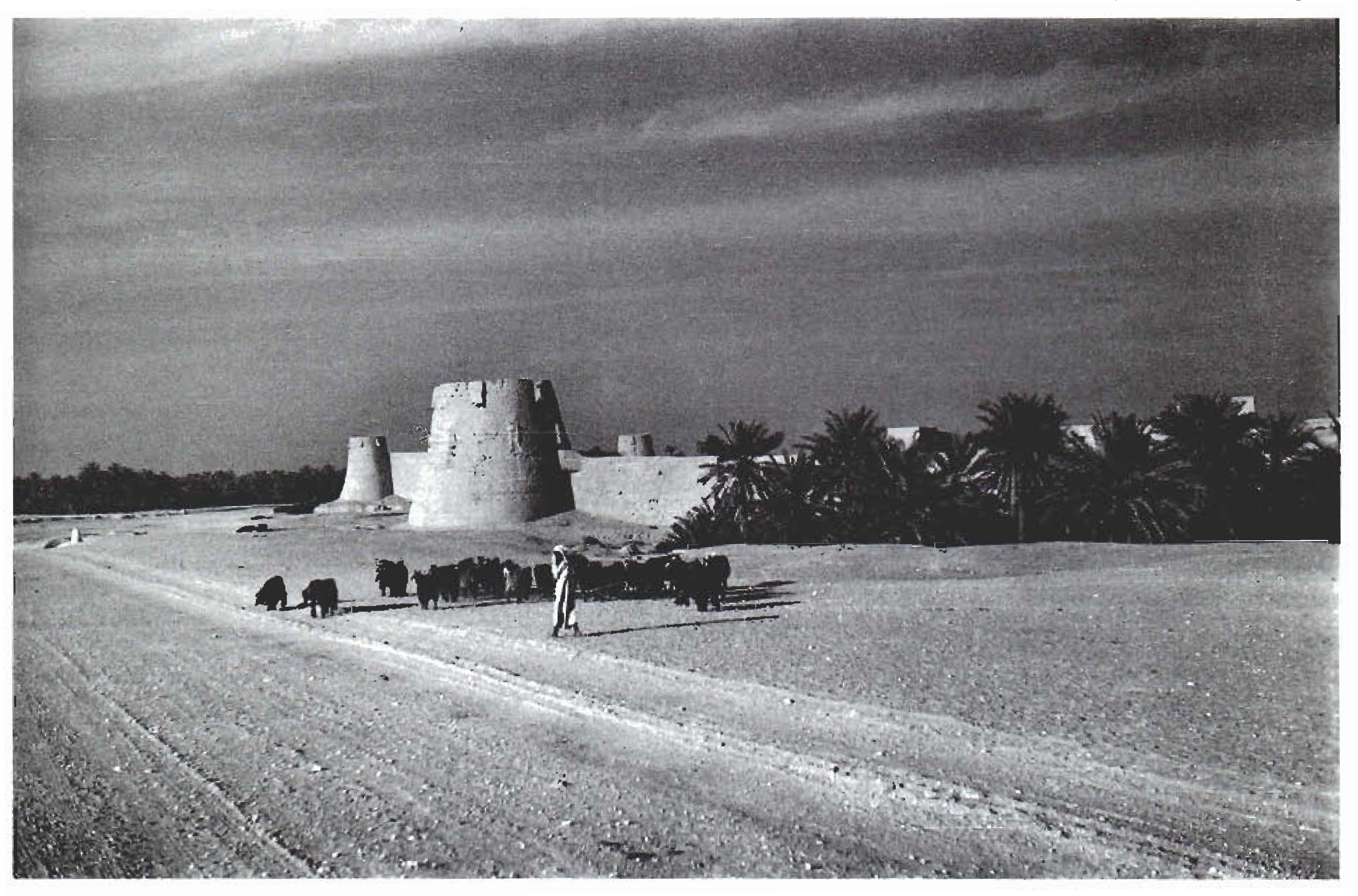
**كان سوق الخميس مركز النشاط التجاري في الهفوف. تظهر هذه الصورة منظر البلدة من الجنوب ويبدو «الكوت» أو السور الداخلي للبلدة إلى اليسار. كانت الهفوف ذائعة الصيت في كل أنحاء شرق الجزيرة العربية بسبب كثرة السلع المتوفرة فيها سواء محلية أو مستوردة (فيلبي ١٣٣٦/١٩١٧م).**





أعمال البيع والشراء في ظل أحد أبراج قلعة «الكوت» في الهفوف (باتيجيلي ١٣٧٠/١٩٥٠م).

**أسوار الهفوف. ساد اعتقاد في الماضي بأن بساتين النخيل كانت تبلغ حتى تلك الأسوار، إلا أن هناك أدلة على أن موارد واحة الأحساء المائية ظلت في نضوب منذ الأزمان السحيقة مما أدى إلى تقلص مساحة بساتين النخيل (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**







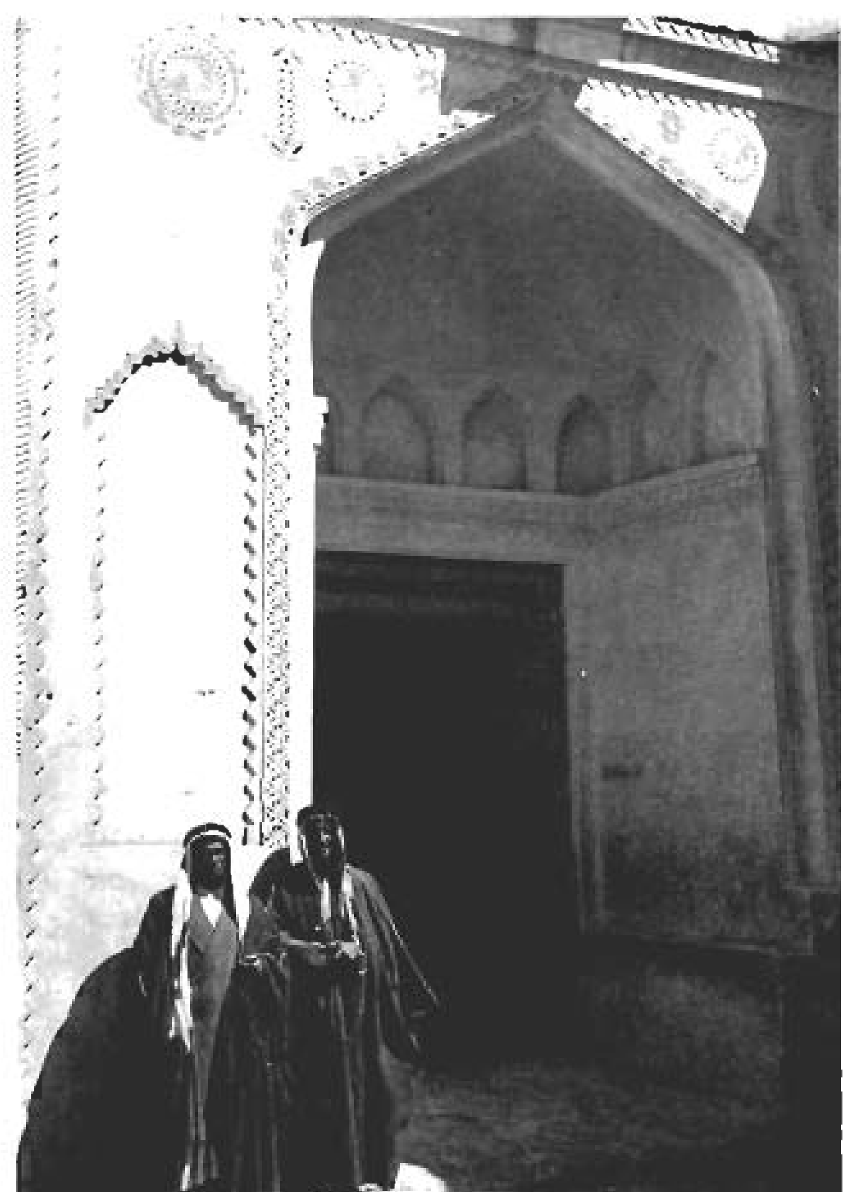
يسار: إحدى العيون الطبيعية الكبيرة في واحة الأحساء.

يمين: مسجد إبراهيم ذو القباب في حي الكوت في الهفوف. شيد العثمانيون المسجد خلال فترة حكمهم الأولى للواحة بين عامي ٩٥٦ و١٠٨١/١٥٤٩-١٦٧٠م (فيلبي ١٣٣٦/١٩١٧م).

أسفل يسار: السوق المسقوف، الهفوف (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).

أسفل يمين: باب دار القصيبي في الهفوف، والتي بنيت في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي (عشرينات القرن الميلادي الحالي)، وتعكس الزخرفة الجبسية هنا تأثيرات خليجية قوية (ريندل ١٣٥٦/١٩٣٧م).





**جزء من سور القطيف في خمسينات القرن الماضي (ثلاثينيات القرن الميلادي الحالي). تظهر في مقدمة الصورة أكوام من الحجر الجيري المعد لحرقه من أجل أعمال الجبس أو الدهان (ستاينيكي حوالي ١٩٣٠م).**



إحدى قرى واحة الأحساء وتقع بالقرب من جبل قارة. كان نخيل واحة الأحساء يتعهد بالرعاية من مزارعين يعيشون في أكثر من خمسين قرية. (المصور مجهول الهوية: أرامكو ١٩٥٠-١٩٦٠م).







أعلى: قلعة محمد آل عبد الوهاب، تاجر اللؤلؤ الغني من دارين الواقعة على جزيرة تاروت. كان لتاروت والقطيف دور مهم في صيد اللؤلؤ في الخليج العربي (بيرسي كوكس Cox ١٣٢٣/١٩٠٥م).

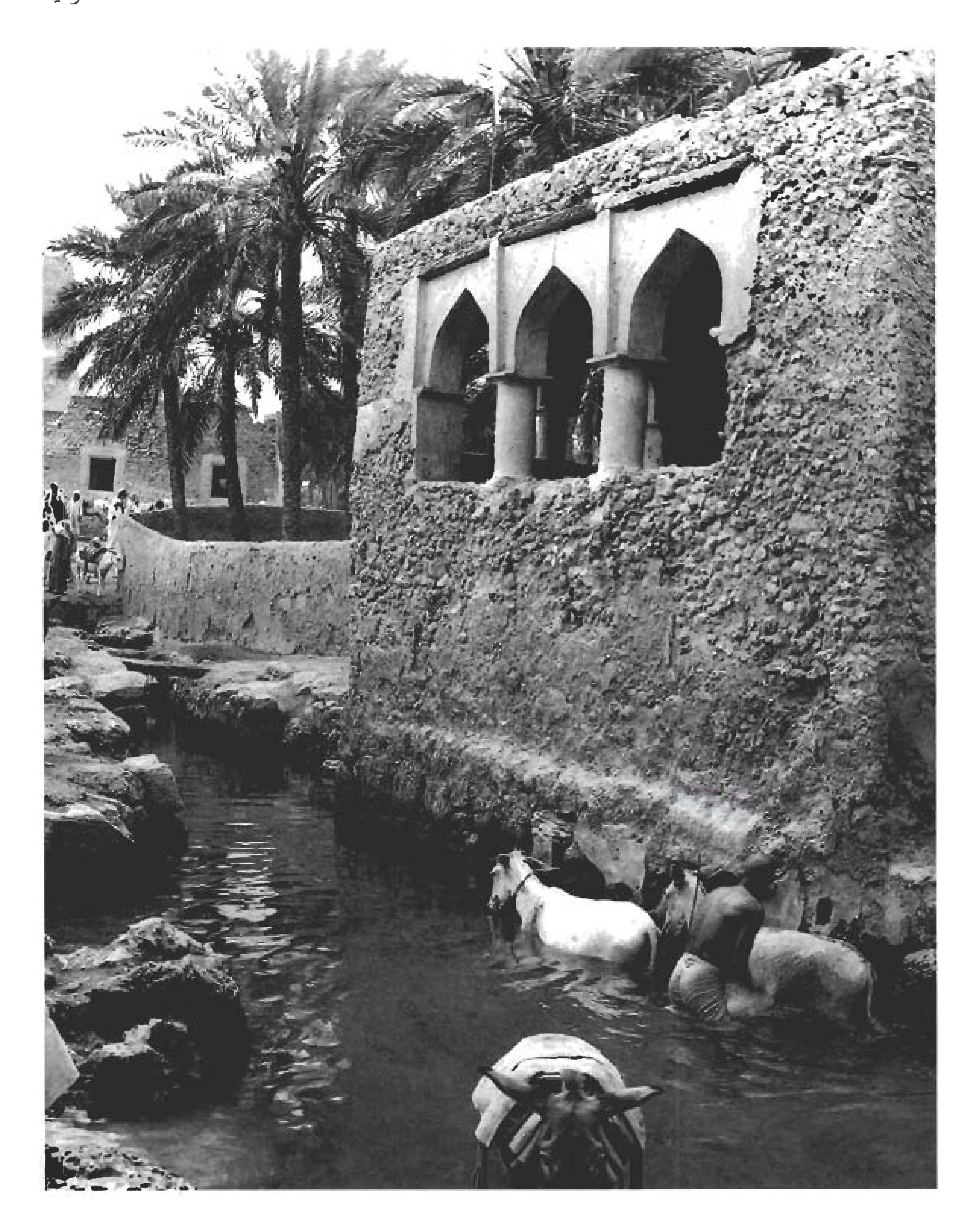
يمين: الجمارك في ميناء العقير (ستاينيكي خمسينات القرن الماضي/ثلاثينيات القرن الميلادي الحالي).

أسفل يسار: شاطىء مدينة الجبيل القديمة، وكانت وقتها قرية صغيرة لصيادي السمك (باتيجيلي حوالي ١٣٧٠/١٩٥٠م).

أسفل يمين: مركب لصيد اللؤلؤ. كان الغطاسون يسترخون فيه قبل أن يغطسوا مجددا (باتيجيلي حوالي ١٣٧٠/١٩٥٠م).







غسل الحمير في واحة القطيف. كانت هذه الحمير القوية البيضاء عماد التنقل في الأحساء والقطيف (باتيجيلي حوالي ١٣٦٨/١٩٤٨م).

مخيم صغير للمرة في الربع الخالي. (توماس ١٣٤٩-١٣٥٠/١٩٣٠-١٩٣١م).



شق الطريق عبر الكثبان الرملية في غرب الربع الخالي إلى الجنوب من قرية الفاو (ثيسيغر ١٣٦٨/١٩٤٨م).



**أول مصفاة لأرامكو في رأس تنورة (باتيجيلي ١٣٦٦-١٣٦٧/١٩٤٦-١٩٤٧م).**



بدأ إنشاء خط سكة الحديد بين الرياض والدمام في عام ١٣٦٧/١٩٤٧م، واكتمل في عام ١٣٧١/١٩٥١م (والترز ١٣٧١/١٩٥١م).



# المنطقة الجنوبية الغربية

تتضافر جبال جنوب الحجاز الممطرة وسهل تهامة القائظ والصحراء القاحلة المنحدرة إلى شرقي المرتفعات لتشكل منطقة تمتاز عن غيرها من أراضي المملكة العربية السعودية المتباينة بانعزالها ووعورتها البالغة المتنوعة.

تنعم الجبال بالأمطار المنتظمة والتي تهطل عليها مرتين سنوياً، حيث تأتي شتاءً من جهة الشمال، فيما تهطل الأمطار الموسمية صيفاً، ويمكن في أعالي الجبال زراعة الحقول المصطبة دون الحاجة لريها، على أن الري في منطقة السهل الساحلي يتم عن طريق تحويل مياه السيول التي تتدفق إلى الوديان من الجبال.

كان من شأن الأمطار، والشمس المشرقة، والأرض الممتدة من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر أن أتاحت طبوغرافية ونباتات مذهلة التنوع، حيث يمكن للمرء الانتقال من أدغال الدوم الكثيفة في مجاري الحمم البركانية القديمة بالقرب من الساحل إلى غابات الرعرع الصنوبري المكتسية بالرذاذ على قمم الجبال. تنحدر المرتفعات إلى جهة الشرق برفق لتتلاقى بالسهول الصحراوية لغرب منطقة نجد. وقد ظلت المدن والقرى في الواحات والوديان في تلك المنطقة، وخصوصا نجران وبيشة، لقرون عدة نقاط اتصال حيوية بين سكان المرتفعات والقبائل البدوية رعاة الإبل في داخل شبه الجزيرة العربية.

تضم تلك المنطقة الشاسعة العصية على العبور، والتي لا زالت بعض أجزائها غير مستكشفة تماما، قبائل شتى تتقاسم أراضيها، وتقوم مناطق القبائل الجبلية متوازية عمودياً على القمم الممتدة على طول سلاسل الجبال لتشمل جزءً من المرتفعات ومن سفوح تهامة معاً. تختلف هذه القبائل عن معظم القبائل السعودية الأخرى بكون أفرادها مقيمين بأراضيهم في معظم الأحيان ومتعلقين بها. توجد بالسهل الساحلي حول جازان قرى لا قبلية سكنها الحضر من الفلاحين الذين كانوا يسكنون أكواخاً دائرية ومستطيلة متميزة مبنية من أغصان الأشجار.

يعود تاريخ عسير إلى عصور ما قبل الإسلام، ويمكن اعتبارها أرضا للبنائين، وكانت البيوت، إلى وقت قريب، تبنى على نسق معمارية محلية مدهشة تتراوح ما بين المباني البرجية المبنية من الحجر والطين في مرتفعات عسير وفي نجران، وبين الأكواخ المبنية من طابق واحد في جنوب الحجاز والباحة وظهران الجنوب، وبين الأكواخ المبنية من أغصان الأشجار على سهل تهامة والمشهورة بزخرفتها الداخلية الغنية.

**الصفحة المقابلة: كانت سوق أبها موقع جذب للناس من المناطق المجاورة (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**





**الصفحة المقابلة: الحركة خارج قلعة شدا في أبها. بنى القلعة أصلاً الأمير عائض بن مرعي في ستينيات القرن الثالث عشر (خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي)، ثم أصبحت فيما بعد المقر الرئيسي للإمارة في بداية العهد السعودي (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).**

**أسفل: درس القمح بالطريقة التقليدية في المرتفعات القريبة من أبها (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**



**أعلى الصفحة المقابلة: منزل من طابق واحد بمنطقة الباحة ( ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**

**أسفل الصفحة المقابلة: قرية بحقولها المصطبية على جبل السودة ( ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).**

**أسفل: رجال القبائل يطلقون نيران بنادقهم القديمة ابتهاجاً في إحدى المناسبات، النماص (ثيسيغر ١٣٦٦/١٩٤٦م).**



**أدنـــــى: على جبل السودة، الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف متر، وهو أعلى منطقة في المملكة العربية السعودية (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).**







رجال قبيلة المسارحة في تهامة بالقرب من جازان (ماكغرات/فوربز ١٣٤١/١٩٢٢م).

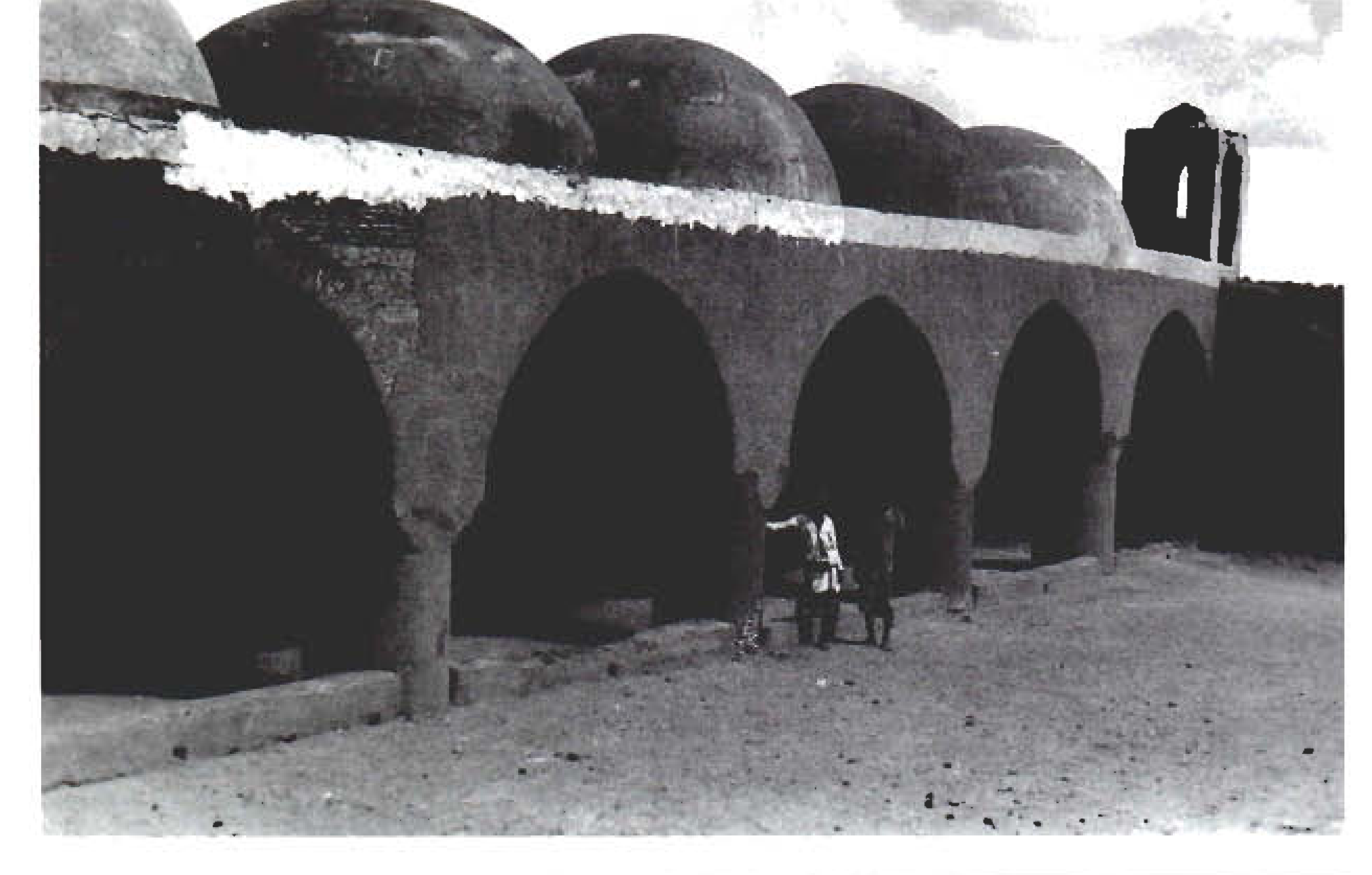


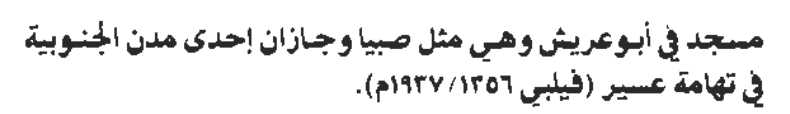
باعة المياه بالقرب من جازان وهم يرتدون أغطية الرأس المتميزة (ماكغرات/فوربز ١٣٤١/١٩٢٢م).

الصفحة المقابلة: منزل لتاجر محلي اسمه عبد العزيز بن بسام في جازان. كانت بيوت العائلات الثرية في جازان وصبيا وفي جزيرة فراسان تبنى على هذا النمط المكسو بالزخرفة الجبسية، وهو نفس النمط الذي كان عليه قصر الإدريسي في صبيا (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).









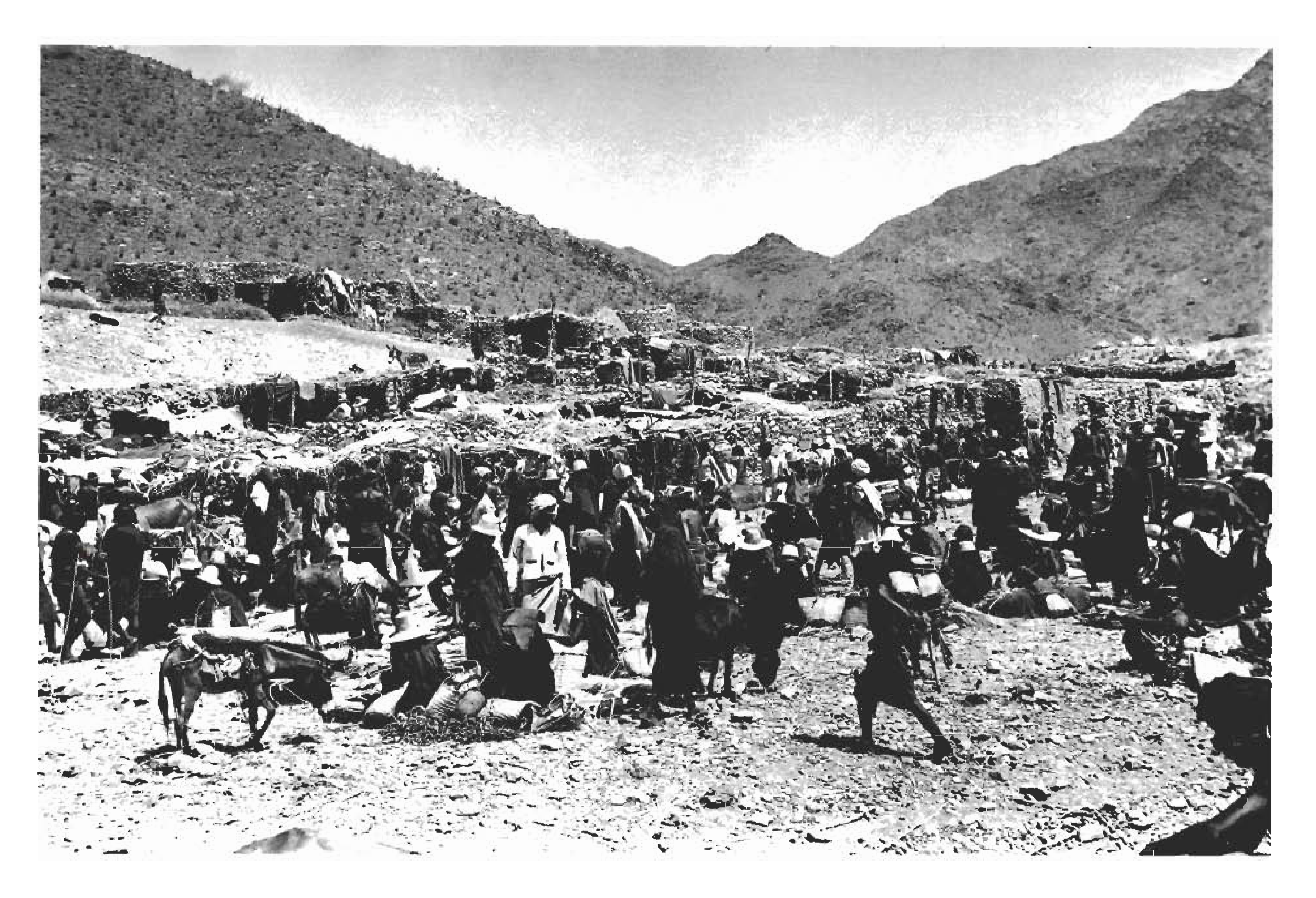
مسجد في أبوعريش وهي مثل صبيا وجازان إحدى مدن الجنوبية في تهامة عسير (فيلبي ١٣٥٦/١٩٣٧م).



منازل قشية دائرية ومستطيلة (عشاش) في أبوعريش، وهي مدهونة من الداخل بألوان زاهية (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).

الصفحة المقابلة: أحد المشاهد المألوفة في صبيا للطريقة التقليدية لاستخراج الزيت من السمسم، وهو أحد المنتجات الرئيسية لتهامة (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).

السوق في سفح جبل فيفا، وهو أحد العديد من الجبال الشاهقة المنعزلة في تلال تهامة (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).





يمين: منطقة سكنية في قلعة القطيع، في المنطقة الداخلية من الجبال الواقعة بالقرب من جازان (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).

أسفل: منازل برجية عالية على قمة جبل بني مالك (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).



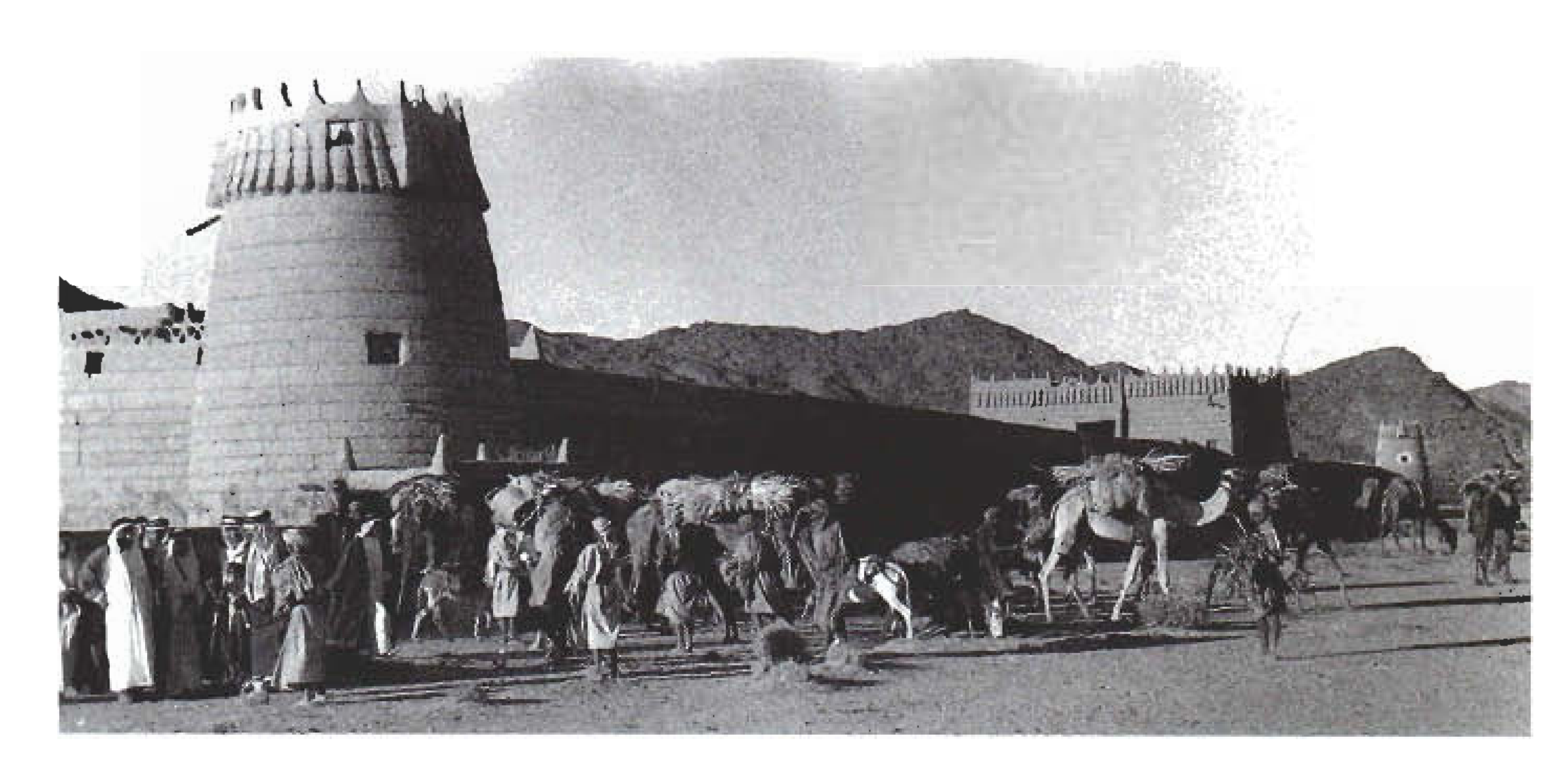
**بيوت في معفجة في الجزء الغربي من وادي نجران. كانت البيوت الريفية العالية الحصينة والمبنية من طبقات من الطين سمة مميزة لوادي نجران ومناطق المرتفعات الأخرى الواقعة إلى الجنوب من أبها، مثل ظهران الجنوب وسراة عبيدة (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).**



حفلة زواج في وادي حلي في تهامة عسير الساحلية شمال حقل البرك البركاني (ثيسيغر ١٣٦٥/١٩٤٥م).



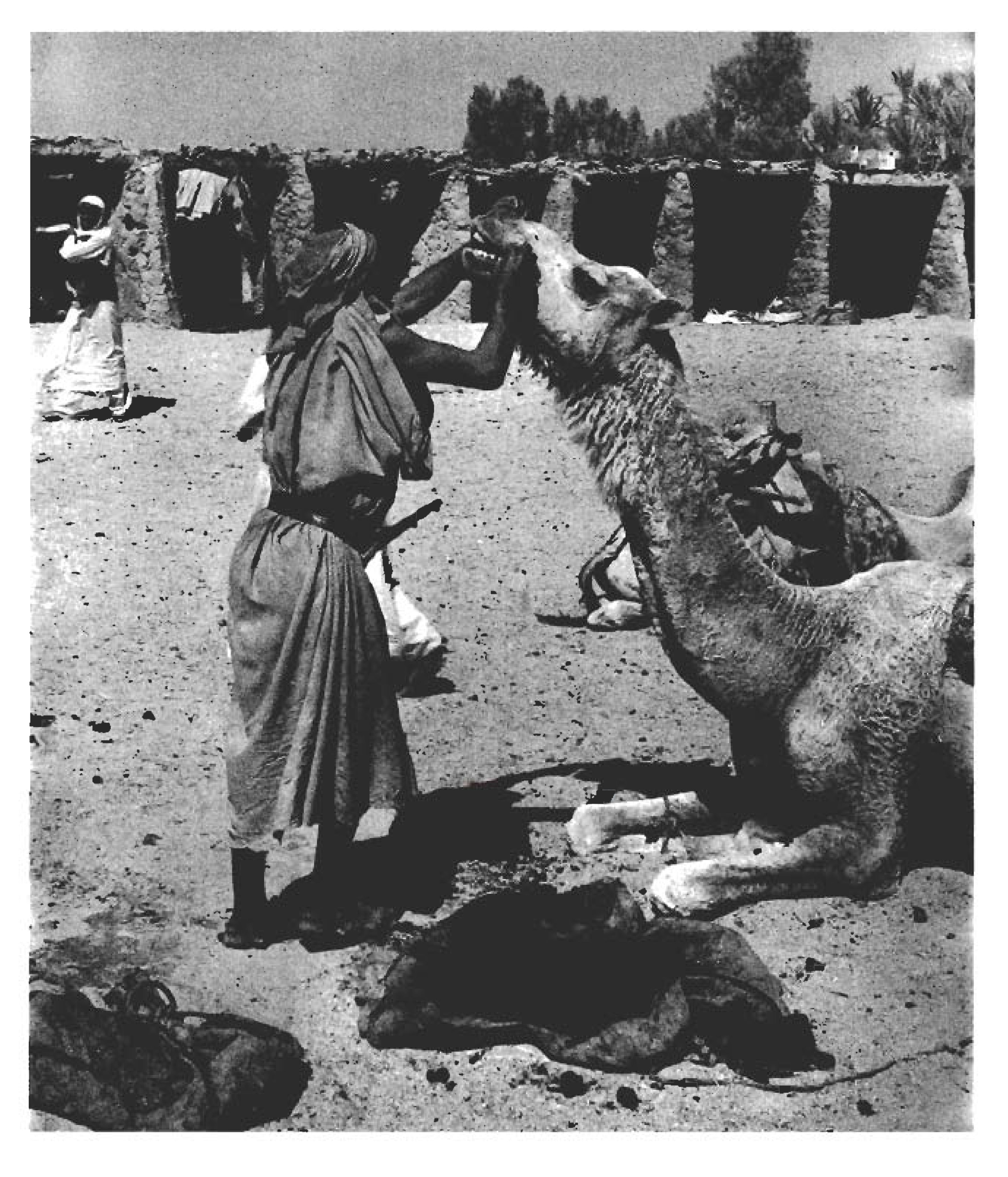




قافلة تستقي من قصر أبا السعود في وادي نجران (فيلبي ١٣٥٥/١٩٣٦م).

سوق أسبوعي نشط في نجران (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).





**تطبيب الجمال في بيشة، أحد مظاهر العلاقة بين الجمل والإنسان في شبه الجزيرة العربية (ثيسيغر ١٣٦٧/١٩٤٧م).**

# المراجع

## الاختصارات

*GJ* The Geographical Journal, London.
*MEC, SAC* Middle East Centre, St. Antony's College, Oxford.


ALICE, HRH Princess, Countess of Athlone, *For My Grandchildren*. London, 1966.
AMER, Mustafa "An Egyptian Explorer in Arabia in the 19th century", *Bulletin de la Société Royale de Géographique d'Egypte*, 18, pp.29-45. [On Muhammad Sadiq].
ANTONIUS, G. *The Arab Awakening*. London, 1938.
ARAMCO, *ARAMCO and its World*. Dhahran, 1980.
*ARAMCO World Magazine*. May-June, 1984.
ARRIYADH DEVELOPMENT AUTHORITY, *Al-Riyadh . . . al-ams. (Riyadh . . . Yesterday)*. Riyadh, 1990.
ASAD, Muhammad See Weiss, L.M.
BELL, Gertrude "A Journey in Northern Arabia", *GJ*, 44.
BELL, F. (ed.), *The Letters of Gertrude Bell*. 2 vols. London, 1927.
BIDWELL, Robin *Travellers in Arabia*. London, 1976.
BLUNT, Lady Anne *A Pilgrimage to Nejd*. London, 1881.
BRAY, N.N.E. *A Paladin of Arabia. The Biography of Brevet Lieut.-Colonel G.E. Leachman*. London, 1936.
BULLARD, R. *The Camels Must Go*. London, 1961.
BURTON, Sir Richard *Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madinah and Meccah*. London, 1855.
BUTLER, S.S. "Baghdad to Damascus via El Jauf, Northern Arabia", *GJ*, 33, no.5, 1909, pp.517-535.
CARRUTHERS, D. "Captain Shakespear's Last Journey", Part 1 in *GJ*, 59, no.5, May 1922, pp.321-334; Part 2 in *GJ*, 59 no.6, June 1922, pp.401-418. With map following p.400.
*Arabian Adventure. To the Great Nafud in Search of the Oryx*. London, 1935.
CHEESMAN, R.E. "The Deserts of Jafurah and Jabrin", *GJ*, 65, 1925.
*In Unknown Arabia*. London, 1926.
ÇIZGEN, E. *Photography in the Ottoman Empire*, 1839-1919. Istanbul, 1987.
COE, B.W. "The Evolution of Photography", *British Journal of Photography*, 12 May, London, 1972.
COE, B. and GATES, P. *The Snapshot Photographers: The Rise of Popular Photography, 1888-1939*. London, 1977.
CORNWALL, P.B. "Ancient Arabia: Explorations in Hasa – 1940-41", *GJ*, 107, Jan-Feb 1946.
DAME, L.P. "Four Months in Nejd", *The Moslem World*, 14, 1924.
DE GAURY, G. *Arabia Phoenix*. London, 1946.
*Arabian Journey*. London, 1950.
"Memories and Impressions of the Arabia of Ibn Saud", *Arabian Studies II*, 1975, pp.19-32.
DICKSON, H.R.P. *The Arab of the Desert*. London, 1949.
*Kuwait and Her Neighbours*. London, 1956.
DIDIER, C. *Séjour chez le Grand-Chérif de la Mekke*. Paris, 1857. Published in English as *Sojourn with the Grand Sharif of Makkah*. Cambridge, 1985.
DOUGHTY, C.M. *Travels in Arabia Deserta*. Toronto, 1979.
EUTING, J. *Tagbuch einer Reise in Inner-Arabien*. 2 vols. Leiden, 1896-1914.
FACEY, W.H.D. *Riyadh – the Old City*. London, 1992.
*The Story of the Eastern Province of Saudi Arabia*. Stacey International, London, 1994.
FORBES, Rosita [Mrs McGrath] "A Visit to the Idrisi Territory in Asir and Yemen", *GJ*, October 1923, pp.271-278.
FORDER, A. *With the Arabs in Tent and Town*. London, n.d.
*Ventures among the Arabs*. Boston, U.S. 1905.
FREEMAN-GRENVILLE, G.S.P. *The Muslim and Christian Calendars*. London, 1977.
GERVAIS-COURTELLEMONT, J. *Mon voyage à la Mecque*. Paris, 1896.
GOLDBERG, J. "Philby as a Source for Early 20th Century Saudi History: a Critical Examination", *Middle Eastern Studies* 21, pp.22-243.
GOULDRUP, L. "The Ikhwan Movement of Central Arabia", *Arabian Studies VI*, pp.161-169. London 1982.
GRAHAM-BROWN, S. *Images of Women: The Portrayal of Women in Photography of the Middle East, 1860-1950*. London, 1988.
GRANT, G.M. (ed.) *Historical Photographs of the Middle East from the Middle East Centre, St. Antony's College, Oxford*. Leiden, 1985.
GRANT, G.M. *Middle Eastern Photographic Collections in the United Kingdom*. Middle East Libraries Committee Research Guides 3, Durham, 1989.
GUARMANI, C. *Northern Najd – A Journey from Jerusalem to Anaiza in Qasim*. London, 1938.
HABIB, J.S. *Ibn Sa'ud's Warriors of Islam: the Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom 1910-1930*. Leiden, 1978.
AL-HAGE, B. *Saudi Arabia: Images from the Past*. London, 1989. (In Arabic).
HARRISON, P.W. *The Arab at Home*. London, 1924.
HARVARD SEMITIC MUSEUM *Mecca: the First Photographs (1306AH/1886AD), Portfolio of Reproductions Presented by the Morgan Guaranty Trust of New York*.
HILL, S., L. RITCHIE and B. HATHAWAY, *Catalogue of the Gertrude Bell Photographic Archive*. Newcastle-upon-Tyne, 1982.
HOGARTH, D.G. *The Penetration of Arabia*. London, 1904.
*The Hejaz before World War I*. London, 1917. Reprinted Cambridge, 1978.
"Some Recent Arabian Explorations", *The Geographical Review*, 11, no.3, July, 1921.
"Gertrude Bell's Journey to Hayil", *GJ*, 70, no.1, London, 1927.
HUBER, C. *Journal d'un voyage en Arabie* (1883-84). Paris, 1891.
HUGO, Victor *Les orientales: poèmes*. Paris, 1829.
HURGRONJE, C. Snouck *Mekka, die Stadt und ihre Herren*. Leiden, 1888.
*Bilder Atlas zu Mekka*. Leiden, 1889.
*Bilder aus Mekka*. Leiden, 1889.
JAUSSEN and SAVIGNAC, *Mission archéologique en Arabie*. Paris, 1909-14.

KIERNAN, R.H. *The Unveiling of Arabia*. London, 1937.
LAWRENCE, T.E. *Seven Pillars of Wisdom*. London, 1926.
LEACHMAN, G. "A Journey through Central Arabia", *GJ*, 43, 1915.
Diaries. *MEC, SAC*, Oxford, unpubld.
LEBKICHER, R., G. RENTZ and M. STEINEKE *The Arabia of Ibn Saud*. New York, 1952.
LORIMER, J.G. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*. 2 vols. Calcutta, 1908-15.
MACKIE, J.B. "Hasa: an Arabian Oasis", *GJ*, 53. March, 1924.
McLOUGHLIN, L. *Ibn Saud, Founder of a Kingdom*, London, 1993.
MALMIGNATI, Countess *Through Inner Deserts to Medina*. London, 1925.
MANSEL, P. *Sultans in Splendour: The Last Years of the Ottoman World*. London, 1988.
MAUNSELL, F.R. Article on Hijaz Railway, *GJ*, 24.
MONROE, E. *Philby of Arabia*. London, 1973.
MUSIL, A. *The Northern Hegaz*. New York, 1926.
*Northern Negd*. New York, 1928.
*The Manners and Customs of the Rwala Bedouins*. New York, 1928.
*The Arabian Desert*. New York, 1930.
NICHOLSON, E. *In the Footsteps of the Camel. A Portrait of the Bedouins of Eastern Arabia in Mid-Century*. Riyadh/London, 1983.
NOLDE, Baron, E. *Reise nach Innerarabien, Kurdistan und Armenien*. Brunswick, 1895.
PALGRAVE, W.G. *Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia (1862-3)*. 2 Vols. London, 1865.
PELLY, L. *Report on a Journey to Riyadh in Central Arabia, 1865*. Bombay, 1866. (Reprinted Cambridge, 1978).
PEREZ, N. *Focus East: Early Photography in the Near East (1839-1885)*. New York, 1988.
PESCE, A. (ed.) *Makkah a Hundred Years Ago or C. Snouck Hurgronje's Remarkable Albums*. London, 1986.
PHILBY, H.St.J.B. "Across Arabia: from the Persian Gulf to the Red Sea", *GJ*, 56, 1920.
*The Heart of Arabia*. 2 Vols., London, 1922.
*Arabia of the Wahhabis*. London, 1928.
*The Empty Quarter*. London, 1933.
*A Pilgrim in Arabia*. London, 1946.
*Arabian Jubilee*. London, 1952.
*Arabian Highlands*. Ithaca, 1952.
*Saudi Arabia*. London, 1955.
*The Land of Midian*. London, 1957.
*Forty Years in the Wilderness*. London, 1957.
PIRENNE, Jacqueline *À la découverte de l'Arabie*. Paris, 1958.
PITT RIVERS MUSEUM *Wilfred Thesiger's Photographs, "A Most Cherished Possession"*. Exhibition Catalogue introduced by E. Edwards, Oxford, 1993.
RASWAN, C.R. *Black Tents of Arabia (My Life Among the Bedouins)*. Boston, U.S. 1935.
RAUNKIAER, B. *Gennem Wahhabiternes Land paa Kamelrygg* (1912). Copenhagen, 1913. [Includes Raunkiaer's photographs].
*Through Wahhabiland on Camelback*. 1912. Abridgement of Raunkiaer's 1913 original, translated and printed for G.B. Admiralty War Staff, London, 1916.
*Through Wahhabiland on Camel-back*. London, 1969.
RENDEL, George *The Sword and the Olive*. London, 1957.
RENDEL, Geraldine "Across Saudi Arabia", *Geographical Magazine*, 6, 1938.
RENTZ, George "Philby as a Historian of Saudi Arabia", *Sources for the History of Saudi Arabia*, Part 2, Riyadh, 1979, pp.25-35.
RIFAAT, I. *Mirat al-Haramayn*. Cairo, 1925.
RIHANI, A. *Ibn Sa'oud of Arabia. His People and his Land*. London, 1928.
*Around the Coasts of Arabia*. London, 1930.
RUTTER, Eldon *The Holy Cities of Arabia*. London, 1928.
RYAN, A. *The Last of the Dragomans*. London, 1951.
Ryan Papers. *MEC, SAC*. Oxford, unpubld.
SADIQ, M.S. *Nubdah fi istikhshaf tariq al-'amid al-hijaziyyah min al-Wajh wa Yanbu' al-Bahr ila al-Madinah al-Nabawiyyah, (A Short Account of the Exploration of the Hijaz Routes from Wajh and Yanbu' al-Bahr to al-Madinah)*. Cairo, 1294 AH/AD 1877.
"Medina il y a vingt ans", *Bulletin de la Société Khédiviale de la Géographie du Caire*, 1ère série, No. 8, May 1880.
*Mish'al al-Mahmal*. Cairo, 1881.
SHAKESPEAR, W.H.I. Diary. Private Collection, H.V.F. Winstone, unpubld.
THESIGER, W. "A Journey through the Tihamah, the Asir and the Hijaz Mountains", *GJ*, 110. 1947, pp.188-200.
*Arabian Sands*. London, 1959.
*Desert, Marsh and Mountain. The World of a Nomad*. London, 1979.
THOMAS, Bertram *Arabia Felix*. London, 1932.
TIDRICK, K. *Heart-beguiling Araby. The English Romance with Arabia*. Cambridge, 1981.
TRENCH, R. *Arabian Travellers*. London, 1986.
TROELLER, G. *The Birth of Saudi Arabia*. London, 1976.
TUSON, P. *The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf*. India Office Library and Records, London, 1979.
TWITCHELL, K.S. "Water Resources of Saudi Arabia", *Geographical Review*, 34, 1944.
*Saudi Arabia. With an Account of the Development of its Natural Resources*. 2nd edition, Princeton, 1953.
VACZEK, L. and G. BUCKLAND *Travellers in Ancient Lands: A Portrait of the Middle East, 1839-1919*. Boston, 1981.
VAN DER MEULEN, D. *The Wells of Ibn Saud*. London, 1957.
VAN PEURSEM, G.D. "The Arabian Mission and Saudi Arabia", *The Muslim World*, 38, 1948, pp.6-10.
VIDAL, F.S. *The Oasis of al-Hasa*. Dhahran, 1955.
WAHBA, H. *Arabian Days*. London, 1964.
WALFORD, G.F. *Arabian Locust Hunter*. London, 1963.
WALLIN, G.A. *Travels in Arabia (1845 and 1848)*. Cambridge, 1979.
WAVELL, A.J.B. *A Modern Pilgrim in Mecca*. London, 1912.
WEISS, L.M. [Muhammad Asad] "Riadh. Die Stadt des Königs Ibn Sa'ud", *Atlantis*, Berlin, 1930, pp.522-530.
*The Road to Mecca*. New York, 1954.
WINDER, R. Bayly *Saudi Arabia in the Nineteenth Century*. London, 1965.
WINSTONE, H.V.F. *Captain Shakespear*. London, 1976.
*The Illicit Adventure*. London, 1982.
*Leachman: O.C. Desert*. London, 1982.
WINSTONE, H.V.F. and Z. FREETH *Explorers in Arabia*. London, 1978.
WITKAM, J.J. *Honderd Jaar Mekka in Leiden: 1885-1985*. Exhibition Catalogue, Leiden, 1985.
ZWEMER, S.M. *Arabia: the Cradle of Islam*. New York, 1900.

# الفهرس

